شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

العدد الرابع المجلد الثامن والخمسون ذو الحجة ١٤٣٣هـ. أكتوبر ونوفمبر ٢٠١٢م

- المسلمون مسئولون عن مراجعة الحساب !
- مكيالان لمعالجة الأمور سبب الاضطراب فى العالم
- الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي
- بين فكر وفكر
- عشرة ذى الحجة الحرام ...فضائلها وخصائصها
- نداء إلى الشباب
- في ذكرى رحيل الطناحي .. آخر عمالقه التحقيق

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)

Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : thealbaas@nadwatululama.org

Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Issue:03 Vol: 58 September, Otob

إصدارات حديثة:

المختار

من «صفة الصفوة»

للإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي

(٥١٠-٥٩٧هـ)

اختاره واعتنى به

محمد وثيق الندوي

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027.Lko

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة الصحافة والنشر

تيغورمارك ندوة العلماء ص . ب . ٩٣ لكناؤ (الهند)

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

١٠٥٦٣
١٨١٢٢٠ جرنه

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

ذو الحجة ١٤٣٣هـ

Vol.58 Issue.04
October, November 2012

العدد الرابع – المجلد الثامن والخمسون
ذو الحجة ١٤٣٣هـ أكتوبر ونوفمبر ٢٠١٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي رحمه الله)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

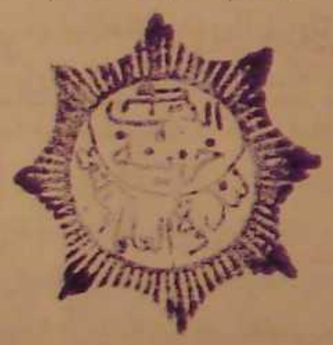

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:

أختر سهيل

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ – ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الرابع – المجلد الثامن والخمسون – ذو الحجة ١٤٣٣هـ أكتوبر ونوفمبر ٢٠١٢م

الافتتاحية :

المسلمون مسئولون عن مراجعة الحساب ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

مسؤولية العلماء في الأوضاع المتغيرة — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — تعريب : محمد فرمان الندوي — ٧

بين فكر وفكر — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ١٦

عشرة ذي الحجة الحرام .... فضائلها وخصائصها — الأستاذ علي بن عبد العزيز الشبل — ٢١

الدعوة الإسلامية :

القرآن وعلم النفس : الانفعالات في القرآن الكريم — الأستاذ نظام الدين ك. م. مرتا — ٢٤

نداء إلى الشباب — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٣٢

رجالات العلم والتاريخ :

الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي — الدكتور تقي الدين الندوي — ٣٩

في ذكرى رحيل الطناحي .. آخر عمالقة التحقيق — الدكتور محمد علي بلاسي — ٥٣

من التاريخ والأدب :

هل الرواية العربية ما بعد الحداثية عكس حقيقي للعربية المعاصرة ؟ — الأستاذ الدكتور مجيب الرحمن الندوي — ٥٧

دراسات وأبحاث :

بعض الإشارات البيئة في القرآن الكريم ودلالتها العلمية — الأستاذ محمد محامد حسين الندوي — ٦٥

الائتمان في الاقتصاد الإسلامي — الدكتور أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي — ٧٦

صور وأوضاع

مكيالان لمعالجة الأمور سبب الاضطراب في العالم — محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩١

من كنوز القرآن الكريم :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٩٦

الافتتاحية

المسلمون مسئولون عن مراجعة الحساب !

المسلمون في كل مكان محاصرون ، مقهورون ، منكوبون ، ومسجونون، يعيشون وراء جدران الغيظ ، والظلم والنفور والكراهية، يعذبون في أوطانهم ، ويدمرون في بيوتهم ، ويقتلون في الشوارع والطرقات ، وتمتد إليهم أيادي الظلم الطويلة فتأخذهم على غفلة حيناً، وتقبض عليهم بالجهر والإعلان حيناً آخر .

هكذا تترءاى اليوم صورة المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون ، وبكلمة أخرى : المسلمون مستهدفون في كل مجال ، مجال العقيدة والثوابت الإيمانية ، مجال التعليم والتربية ، مجال الاقتصاد والمعاش ومجال الحكم والسياسة ، وليس هذا الحصار والاستهداف أمراً ارتجالياً يظهر على الساحة من غير تخطيط ، وليس نتيجة مباغتة للظروف الحضارية والتغييرات المدنية المفاجئة ، إنما هو نتاج عقول معادية ركزت جميع طاقاتها على محاربة الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ الإسلامي ، وما تاريخ اليهودية العالمية ومن إليهم بخافٍ على قادة العالم الإسلامي ودعاة الإسلام السابقين الأولين ، وإن قول الله تعالى الآتي ليرمز إلى هذا الواقع ويحثنا على دراسة الوضع الذي عاشه أهل الكتاب نحو صرف المسلمين عن الإسلام وردهم إلى الكفر .

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة الآية/١٠٩) .

ولكن رغماً من ذلك عاش المسلمون على الالتزام بقواعد الشريعة الإلهية ، ولم يردهم عن ذلك أي حادث أو ثورة أو تغيرات حضارية أو إبداعات علمية ، وبهذا الثبات على العقيدة والإيمان بقدرة الله تعالى ووعده بالنصر لأهل الإيمان ، ظلوا متميزين بين جميع شعوب العالم البشري ، ونالوا مكانة عالية من القيادة الدينية ولقبوا بخير أمة أخرجت للناس ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وكلما كانت الأمة مرتبطة

بوظيفتها الإيمانية وتُشيّد قواعد المعروف وتدعو الناس إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانت تبين لهم المنكر وتنهاهم عنه بجميع ألوانه وأنواعه ، تبوأ المسلمون بذلك منصب خير الأمة ، الذي لا يعني إلا زعامة العالم نحو العز والسعادة والعلو والخلافة والتمكين في الأرض ، ومعلوم أن القاعدة الثابتة والأساس القوي المتين للتوصل إلى هذه الخلافة والزعامة في الأرض مربوطة بالإيمان والعمل الصالح ، ونتيجة لذلك يزول كل خوف ويتبدل كل يأس وشقوة بالأمن والسعادة ، وقد صرح الله سبحانه بذلك في كتابه العظيم ووعد به عباده المؤمنين الصالحين فقال:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (سورة النور الآية/٥٥) .

قليلا من التأمل في الآية ودراستها ، يوفر لنا صورة واضحة للاستخلاف في الأرض قبل كل شيء ، وليس ذلك إلا وعداً عملياً من الله تعالى ، وقد تحقق هذا الوعد من الاستخلاف والتمكين في الأرض حينما كان المسلمون يمثلون الإيمان والعمل الصالح تمثيلا حياً كاملاً ، وقد سجلوا دورهم المثالي العظيم في العبادة والعقيدة والفرار من كل شرك جلياً كان أم خفياً ، لأن الله تعالى يبغض الشرك أشد البغض ، وهو من أكبر الكبائر مما لا يُغفر أبداً ، فقد صرح بذلك فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ، وجاء فيما رواه أبو بكرة رضي الله عنه فقال : قال رُسُول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس وقال : شهادة الزور وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت" .

فلنقف قليلاً أمام الآيتين وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ونستخلص منهما المعاني التي تتضمنها ، من الإيمان والعمل الصالح وعبادة الله تعالى ونبذ الشرك بكل أشكاله ورفض الله تعالى مغفرة المشرك ، وكونه من أكبر الكبائر التي تشمل عقوق الوالدين ، وقول الزور وشهادة الزور ، ثم نعرض عليها حياة المسلمين اليوم فإذا بهم يكونون قد حرموا من نعمة الاستخلاف والتمكين ، على أن هذا

الوعد قد تحقق في السابقين الأولين ممن عاشوا في أمن وسلام وعافية وهدوء واستقرار ، أما الشرك فلا يأتي إلى النفوس إلا خفية دون أن يشعر به المرء ، وهو يظن أنه بعيد عن كل ما يشبه الشرك ، ولكنه يكون فريسة الشرك من غير شعور ، وكذلك عقوق الوالدين ظاهرة جديدة في عصر العلوم والحضارة تحدث في مجتمعات المسلمين بكثرة كاثرة ، أما شهادة الزور وقول الزور فأضحى عماد سياسة العالم الحديث ، فالسياسات كلها في معظم المعاملات الاجتماعية تنتهي بالكذب والزور وشهادة الزور ، لذلك الكذب والخداع واللجوء إلى الزور من رموز الحضارة والسياسة اليوم .

كل هذه الرذائل دخلت في حياتنا وطالما تكون نتيجة للطمع الفاحش للمال، ولو كان حراماً بمعناه الواسع ، فقد جاء فيما رواه كعب بن عياض رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وإن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال" (مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد بن حنبل) .

إن هذا الحديث الشريف نبوءة لما سيتوافر في أفراد هذه الأمة من رغبة جامحة لجمع المال وادخاره كنوزاً من غير تمييز بمصدر ذلك المال ، والطرق التي اختاروها لكسبه ، ولا ريب فإن في هذا العالم المتطور المتميز بالعلوم والمعارف والزاخر بالوسائل المادية جهوداً مكثفة في مجتمعات المسلمين لجمع المال وكسبه بطرق غير شرعية ، حيث إن جمع المال أصبح مرتكزاً أساسياً بمسميات ولافتات شتى ، مهما كانت مزورة أو صغيرة الحجم وعديمة الجدوي في مجال الدين والدعوة، أو التربية الإسلامية ، فكل ما تراه من نشاط متزايد ومستمر باسم عمل إكاديمي أو دعوي أو تربوي يتمخض كنتيجة في جمع المال (Fund) وإنفاقه – بوجه عام – على المصالح الشخصية ، وإحراز نفع عاجل في رفع مستوى المعيشة بعيش رغيد ، ورفاهية كاذبة، وما أشبه ذلك مما يساعد على الحصول على منصب جليل في السياسة والاجتماع في العالم المعاصر .

وقد تزايد شره المال حتى في الأغنياء ، وسرَى إلى الطبقات المترفة وأصحاب المناصب الدينية فلا يكادون ينفكون عن تدبير مؤشرات ذات تأثير سريع عن تخطيط برامج علمية ودينية واجتماعية تنال قبولاً وثقة في

هذه الأوساط من العامة والخاصة التي توافق على التبرع والعطاء ، للعمل الديني ، ولكن ذلك قد لا يكون إلا إشباعا لنهمة ادخار المال وتعديده جاءت إشارته في كتاب الله فقال : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ❖ الذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ❖ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ذاك أن جميع هذه الصفات المرذولة تنشأ من جمع المال وكثرته ولا سيما من أجل التكبر الذي ليس مصدره إلا كثرة المال وجمعه بأي طريق يمكن .

ولا شك أن المال عصب الحياة وبه تتم جميع شئون الحياة الفردية والجماعية، ولكن هذا المال يجب أن يأتي عن الطرق المشروعة وكسب الحلال ، لا أن يسيطر طمع المال على المرء فيعميه ويصمه عن رؤية الحق وسماعه فلا يترك أي حيلة في هذا المجال ولا يبالي بما إذا جاء المال عن طريق الحرام والربا والنهب وقطع الطريق ، والغش والخداع .

أفلا ترى أوضاع المسلمين اليوم في كسب المال وجمعه وتعديده بطرق غير شرعية ، وذلك ما يؤدي إلى فساد العلاقات العائلية والاجتماعية ويدفع المرء إلى ألوان من الآفات والمصائب والنكبات وبالتالي الأمراض والأدواء الخلقية والبدنية، وبفساد هذا الجانب المهم في حياة المسلمين نشأ فيهم أمراض وأسقام خلقية واجتماعية أورثتهم البعد عن الشريعة والجهل بالعلاقات الإنسانية والصلات السماوية ، فكأنهم مسلمون بالاسم والرسم ويجهلون كل شيء من الدين والشريعة ولا يعرفون الله سبحانه وتعالى ولا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يخطر على بالهم أي معنى من معاني الإسلام .

فلا جرم أن ما يجري معهم اليوم في جميع أنحاء العالم وما يدور حولهم من المحن والشدائد إنما هو عقاب من الله ولا شيئ ، ولا سيما التصرفات المالية التي تكون متجاوزة حدود الشريعة تجلب من النكبات والشقاء ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وقد قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ❖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (سورة النساء الآيتان/٢٩ – ٣٠) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٣/١٠/٢٤هـ ٢٠١٢/٩/١٢م

التوجيه الإسلامي

مسؤولية العلماء في الأوضاع المتغيرة

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي
تعريب :محمد فرمان الندوي

(هذه خطبة مهمة تحمل أفكارا قيمة لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الحسني الندوي رحمه الله ، ألقاها في ١٣ جمادى الثانية ١٤٠٢هـ الموافق ٨ إبريل ١٩٨٢م أمام جمع من أساتذة وطلبة دار العلوم لندوة العلماء ، وذلك في جامع ندوة العلماء حيث سجلت ونشرت بعد تعديل يسير من المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ الهند بالأردية عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م ، و قد قمت بتعريبها بإيعاز من سماحة الشيخ الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام حفظه الله ذخراً للإسلام والمسلمين)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (سورة فاطر الآية/ ٣٢) .

بقاء الدين بالسيرة العملية الحية :

أيها الإخوة الأعزة! إن الدين والتعاليم الإسلامية ، والدعوة الصحيحة أو القاعدة العالية المتينة لا يبقى شيء من ذلك في الخلاء ، فإن لم ترتبط معها الحياة الإنسانية ولم يمثل حملتها السيرة العملية الحية سوف لا تدوم استمراريتها، هذا ما يدل عليه تاريخ الأديان السماوية ، ويشهد بذلك تاريخ التعاليم الخلقية، ولو أمكن ذلك وسمحت به السنة الإلهية والفطرة الإنسانية

لكفى أن تنـزل صحف من السماء وتوضع في مكان مصون على قلل الجبال ، وأعلن مدوياً أن الصحف الإلهية والكتب السماوية قد نزلت ووضعت في مكان كذا ، فمن شاء فليأخذها وليعمل بها، لكن سنة الله أنه يخلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيبعثون ، وينـزل عليهم الوحي، ويكونون أنفسهم أول نموذج ومثال للناس ، كما قد سئلت عائشة رضي الله عنها عن سيرة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله ، فقالت : كان خلقه القرآن (صحيح مسلم ، باب صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، رقم الحديث/١٧٣٩) .

بعثة النبي ﷺ بعثة مزدوجة :

وكان فضل الله ورحمته على النبي صلى الله عليه وسلم أن بعثته – حسب تعبير الإمام الدهلوي– كانت بعثته مقرونة ، أي أنه بعث إلى الناس ، وبعثت الأمة كذلك لنشر تعاليمه وتقديم نماذجه أمام الناس . لذلك ترون أن كلمة البعثة أو ما يشابهها لم تستعمل إلا للأمة ، قال الله عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (البقرة الآية/ ١٤٣) ، وقال في موضع آخر : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران الآية/ ١١٠) .

ووردت كلمات أشد صراحة منها في الحديث النبوي ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطبا الصحابة : إنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين ، واستعمل الصحابة رضي الله عنهم أيضا كلمات مشابهة منها ، لعلكم تذكرون أن قائد القواد لجيوش إيران رستم لما سأل ربعي بن عامر الذي كان ممثلا ومندوبا للمسلمين : ما الذي جاء بكم ؟ فأجاب بلسان النبوة : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ... (البداية والنهاية لابن كثير) فاعلموا من هذا أنه لا يمكن أن يبقى فراغ في الدين ، وتشترط بعثة النبي قبل الدين ، ويشترط وجود أمة مع ذلك النبي ، ويشترط كذلك أن يكون له

أصحاب ورفقاء ذوو تربية حسنة ، وستجدون أحسن نموذج لذلك في السيرة النبوية ، ثم لابد أن تستمر هذه السلسلة إلى يوم القيامة .

مسئولية الدعوة على ورثة الأنبياء :

إن الآية التي تلوتها عليكم تكشف أن التوريث أي سلسلة إرسال ورثة الأنبياء وحاملة الكتاب لتستمر إلى يوم القيامة ، فالمسؤولية تعود على ورثة الأنبياء وحاملي هذه الأمانة وممثلي هذا الدين، والبيئة التي يعيشون فيها ، والبلاد والإنسانية التي ربط به مصيرها من الدين الصحيح والتعاليم السماوية ، وقد بين هذه الحقيقة الحديث النبوي : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.(مشكاة المصابيح /٣٦ ، الفصل الثاني ، رواه البيهقي في كتاب المدخل مرسلاً) .

خطورة المسئولية وأهميتها :

إن مسؤولية ورثة الكتاب ونائبيه ، وبتعبير آخر : علماء الدين ، لخطيرة وذات حساسية ، بحيث لو شعر بها الرجال الذين أكرموا بها وألقيت على كواهلهم هذه المسؤولية لاقشعرت جلودهم ، وذهب نومهم ، وانتهت لذة الطعام والشراب منهم وزالت راحتهم للأبد .

إن صلة الناس بالدين والشغف به والاعتماد عليه وبقاء العقائد الصحيحة والمذاهب الفقهية يتوقف على سيرة وأخلاق شارحي الدين وحامليه ، وإن أقل خطأ منهم يكون له أثر مضاد يضعف الرابطة بين الأمة والدين، فماذا يتفاعل مع المجتمع ضعفهم الخلقي ، والانحلال السلوكي ؟ بله انحطاط السيرة ، وحب الدنيا، وحب المال وقدسية القوة والسلطان ، والخضوع أمام أهواء النفس والمصالح النفسية ، وتفرق جمعهم وتشتت شملهم ، وكم يبدد ذلك طاقات تزلزل أجيال هذا العهد والبلاد. فلو أدرك الناس مثل هذا الواقع إدراكا صحيحاً لارتعدت محاريب المساجد ومنابرها فضلا عن جدران المدارس والمعاهد، وليس شيء أصدق تصويرا وتمثيلا لهذه الحقيقة الناصعة من الحديث

النبوي الشريف ، "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، عن النعمان بن بشير ، رقم الحديث/٥٢) .

مكانة العلماء في المجتمع :

فمكانة العلماء والخاصة من الناس في المجتمع مثل القلب في الجسد الإنساني ، فإن فسادهم وضعفهم وصلاحهم وتقواهم يؤثر في المجتمع كله مثل ما يتأثر الجسد الإنساني بصلاح وفساد القلب .

أيها الأعزة ! هذه المسؤولية ليست لجماعة دون جماعة ، أو مؤسسة خاصة دون أخرى ، وهي مسؤولية العلماء بأجمعهم ، إذا انحطت أخلاق حاملي الكتاب ودخل فيهم حب الدنيا وضعفت علاقتهم بالله تعالى ، وتجاوزوا الحدود التي حذر منها عامة الناس ، لم يكن المجتمع وحده فاسداً ولا البيئة وحدها فاسدة فقط ، بل يحدث فيها العفن والقذر ، ولا شك أن مستقبل الدين مرتبط بالعلماء وأهل الدين ، وإن المصير الخلقي الإنساني والديني للبلاد وسكان هذه البلاد يتوقف على شارحي هذا الدين وممثليه ، فإذا حدث ضعف في ممثلي الدين ، فلا تنجيهم قوة في العالم من ضعف ترابط العامة بالدين، لا الحكمة ، ولا العقل ، ولا الخطابة ، ولا السياسة ، حتى إن حكومة إسلامية لو صممت على أن لا يكون فساد في هذا لمجتمع والبيئة ولا يحدث ضعف في الدين لما نجحت في مهمتها .

مثال ذلك أن هناك ماكينة صغيرة أو أداة عادية تقوم بتعيين جهة الطائرة والضغط على مسيرها ، فإذا ابتعدت من مكانها قيد شعرة لانحرفت الطائرة عن طريقها وابتعدت عن غايتها ، فالعلماء مثل "دليل الجهة" للملة والإنسانية ، التي تعين جهة القبلة ، فلابد من كونها صحيحة وفعالة في عملها ، إذا كانت علاقة العلماء بالله قوية ويوجد فيهم الإخلاص والأخلاق النبوية .

وهم مستعدون ونشيطون في أداء واجبهم ومتحلون بصفات عالية جديرة بأن توجد في طبقة ورثة الأنبياء وحاملي والسنة الكتاب فإن مستقبل الدين على أقل تقدير مصون في هذه البلاد من الضياع والحرمان ، وأما إذا لم يكن هذا فليس هناك حيلة تحفظ الدين في هذه البلاد .

اختلاف العلماء فيها بينهم سبب لانحطاط الأندلس :

كتب الباحثون والمحققون حول تاريخ أسبانيا كتابات موسعة ، ولا يوجد مثال لجلاء الإسلام منها في التاريخ – لا سمح الله أن يتكرر مثل ذلك ويصاب المسلمون بحادثة تماثله – هذه هي البلاد الشقية التي حرمت نعمة الإسلام ، وذهب الناس في بيان هذا الحرمان مذاهب شتى ، وألفت كتب علمية كبيرة وقد تشرفت بزيارة هذه البلاد ، لكن لم يتوصل الباحثون إلى الخطأ الذي صدر من أمرائها وحكمائها ؟ وما هي الحكمة السياسية الخاطئة التي ألقى المؤرخون والمصنفون عامة تبعتها على اختلاف أمرائها والعداوة الناتجة بين العدنانيين والقحطانيين أو اليمنيين والحجازيين (أي العرب الذين سكنوا في الشمال والجنوب) .

لكن جانباً منها يحتاج إلى دراسة وتحقيق ، ولم يبحث فيه باحث ، وهو ما الخطأ الذي صدر من علمائها ، وما هي مواقع ضعفهم ، وما هي الأمراض التي أصيبوا من الانحطاط الخلقي ، وحب الدنيا والاختلاف فيما بينهم الذي سبب هذه النتيجة، أظن أن هذا الموضوع لفي حاجة إلى البحث فيه .

مصير الأمة بالعلماء :

أيها الإخوة ! لقد آن أوان ذو حساسية في الهند ، كأن كاتب القدر والقضاء يترقب ماذا يكتب؟ فلو لم يصلح علماؤها أنفسهم ، ولم يثبتوا رفعتهم وعلوهم ، وميزتهم وصلاحيتهم ، بل حاجتهم خلقيا وروحيا وعلميا وفكريا ليخشى أن يطرأ الانحطاط على الدين والملة بأجمعها ، تارة تسبب النقائص

الخلقية الهينة والاختلافات التافهة نتائج مهيبة لا يمكن أن يتصورها الإنسان ، وتارة تصاب الحكومة أو الملة في البلاد بالزوال والانحطاط أو الابتلاء الشديد والصراع البغيض ، فإذا تتبعنا أوراق التاريخ وتوصلنا إلى آخر نتيجة باحثين عن الأسباب والنتائج ، عرفنا أن هناك نوعا من اتباع النفس ، وعدم التجربة ، وإيثار المصلحة الفردية على المصلحة الاجتماعية والملية ، كان سبباً أصيلاً لكل ذلك ، فأصيبت الأمة بكاملها بالزوال والضعف ، وتتكشف أسرار جمة كانت مختفية في سيرة وحياة حاملي الدين وممثليه .

فإن استقامة العلماء الخلقية بل الروحية والعلمية والفكرية لا بد منها لبقاء الدين واستمراريته ودوام عظمته ومكانته الرفيعة ، بهذه المناسبة تكون لمحة واحدة بمثابة شهر أو سنة ، ونفس واحد مكان عمر طويل المدى ، فلو لم يتمكن حاملو العلوم الإسلامية والمنتمون إليها ، من تمثيل عملي لعلوهم الخلقي ، وعدم أثرهم وعبادة الله الصادقة التي لا يشوبها شيء من النفاق لكان الخطر متفاقما .

إفساد ذات البين أشد خطورة :

إن من عاداتنا أننا نأخذ بالحذر والحيطة في استعمال بعض المباحات إذا كانت خلافاً لتقاليدنا ، لكن لا نتردد في انتهاك حرمة مسلم بدون خوف ، ولا نرى بأسا في إفساد ذات البين والتفريق بين المسلمين ، ولا يرون حرجاً في أن نحث المسؤولين على الخصام والنـــزاع ، ونقضي على مؤسسة صالحة بوجودنا ، إن الأشياء التي وردت حرمتها بنص صريح مثلا الغيبة والنميمة والتهمة والخداع أصبحت حديث المجالس والنوادي، ما هذا ؟ هل الصورة الظاهرة تنفع عند الله شيئا ؟ وهو عالم السرائر والغيوب ، ولا يخفي عليه شيء ، فالخيانة حرام ، والتكاسل في العمل حرام ، والرشوة وعدم العمل حرام ، وإهانة مسلم حرام ، وإطلاق القول جزافا أو تسليمه سماعا ونشره حرام ، وقد ورد في الحديث الصحيح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء

كذبا أن يحدث بكل ما سمع (رواه مسلم في المقدمة) ونبه القرآن الكريم إلى هذا الجانب تنبيها ، وفيه تعليم وتأكيد على هذا الأمر، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات الآية/ ٦) .

هذه النصوص قطعية ، وإن كنا لا نوليها من العناية في أخلاقنا ولا نراعيها في حياتنا وأعمالنا .

فلابد لنا أن نعمل بأحكام الشريعة وتعاليم الدين وفق الترتيب والنسب التي أقامها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهناك مراتب ودرجات : من المحرمات والمكروهات ، والمستحبات والمباحات ، لقد اصطنعنا ديناً تقليدياً ، فكل ما ليس مكروهاً في عرفنا ومتقززا نرتكبه بلا خوف ، ولا شك أن ذلك بعض الأحيان يضر بالملة بكاملها ، ويستأصل شأفة المؤسسات والمراكز الدينية ، ويقع اضطراب وخلاف شديد بين جماعة متحدة ذات مذهب فقهي واحد، ويتأثر به جميع الأهداف والمذاهب التي تحملها هذه الجماعة وتدعو إليها وتنادي بها ، هذا المبنى الذي ترونه أمامكم قائم باتزان ، فإذا زال هذا الاتزان ما قام هذا المبنى ، كذلك صرح الدين مشيد بنظام وترتيب ، وهو لا يستقر بدون ذلك .

الشخصيات الإسلامية العملاقة مصدر كل خير :

أيها الإخوة الأحبة ! اعلموا أن القوة التي تحفظ الأمة من الزوال في هذه الأوضاع الخطيرة القاسية هي الشخصيات ذات المكانة العالية ، انظروا إلى أوساط الهند العلمية والدينية أفلست خلقيا في القرن العاشر الهجري ، وكانت نتيجة ذلك أن مستقبل الدين لم يكن متعرضا للخطر فقط ، بل يرى ويلوح جليا أن الهند تكاد تقع على أقل تقدير فريسة لردة ذهنية وحضارية . كيف كان حال العلماء في البلاط الملكي؟ اقرؤوها في سيرة وحياة ملا مبارك وأبي الفضل والفيضي، لا أسمي كثيراً من العلماء ، لأني لا أعتمد على التاريخ مأة في المأة ، لكن رئيس العلماء في هذا العصر قد ابتلي بالانحطاط الخلقي ،

وتتوافر شهادات على حب الجاه ، والادخار المالي ، والحسد والعداوة فيما بينهم ، والنزاع لنيل المنصب ، إن ما مثله أبوالفضل والفيضي في العصر الأكبري لا أذكره معتمدا على كتابات الملا عبد القادر البدايوني ، بل وثقه أبو الفضل بكتبه .

ففي مثل هذه الأوضاع ظهرت شخصية العلامة الداعية الإمام أحمد السرهندي (مجدد الألف الثاني في الهند) فأعد رجالا كانوا مترفعين من المستوى الخلقي والإنساني الذي كان عليه علماء البلاط والقصر ، وتبدل الجو غير الجو ، قال الدكتور محمد إقبال:" إن وجود رجل واحد غير وجهة العالم المتغير كله " .

العالم الإسلامي بأمس حاجة إلى نماذج حية :

إذا كانت الأوساط الدينية لبلادنا لم تقدر على تمثيل نماذج حية في أسرع وقت ، ولم تنجب مرة ثانية شخصية مثل حكيم الأمة العالم الرباني أشرف علي التهانوي أو شخصية تنتمي إليه في صفاتها ، و شخصية مثل الشيخ المحدث السيد حسين أحمد المدني أو أقل درجة منها في الفضل ، ولم تنجب في مجال الفكر والعلم أمثال العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ السيد مناظر أحسن الجيلاني، والشيخ شبير أحمد العثماني والمحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والمحدث النبيل عبد الرحمن المباركفوري والفضلاء والعلماء المحققين ، وفي مجال الرسوخ في العلم والاطلاع على المقتضيات المعاصرة أمثال المفتي كفاية الله والشيخ أبي المحاسن محمد سجاد البهاري وفي مجال العلو الذهني والخلقي والعزة بالنفس والثقة بها أمثال الشيخ أبي الكلام آزاد وفي مجال التربية الروحية والدعوة إلى الله أمثال الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي والشيخ وصي الله الفتح فوري وأمثالهم من الدعاة المربين لكانت هيبة العلماء بل هيبة الدين والعلم ، بل الأولى من ذلك كرامة الملة الإسلامية معرضة للخطر ، وكانت حاجة المدارس الدينية والمؤسسات التعليمية ، التي أسست لتخريج رجال من هذه الطبقة

وتوفية المصالح الدينية والعلمية والخلقية ، شبه مفقودة ، فقد كان صبر هؤلاء العلماء وأسلافهم الصلحاء وتحملهم للمشاق وعزة نفسهم وثقتهم بالله وتعاونهم على البر والتقوى ، وكسر أنفسهم في المصالح الاجتماعية وسمو نظرهم ، وعلو مرتبتهم ، واستغناؤهم ، وعدم خوفهم من أصحاب الحكومات ، وتحاشيهم منهم ونشاطهم في أداء واجباتهم وحياتهم الربانية واضطرابهم وقلقهم للملة الإسلامية ، وبقاؤهم مع هذه الصفات ، كلها قد نفخ روح الحياة في الجماعات والمؤسسات ، وأثبت جدارة بقائهم في الدنيا ، فالمؤسسات والجامعات بأمس حاجة إليها ، وهي التي تستطيع أن تخلص الأمة من الزوال والانحطاط .

واجب العلماء في العصر الراهن :

فالواجب على فضلاء المدارس وأساتذتها وطلبتها أن يكونوا متميزين بأخلاقهم وسيرتهم وحياتهم ، ومبرزين في العلاقة مع الله ، ويكون مستواهم العلمي والفكري رفيعا ، حتى يتفهموا الأوضاع ويقدموا حلولاً للمشكلات المعاصرة ، وتكون دراساتهم واسعة ، تؤهلهم قدرة على لغة العصر الحاضر وأسلوبه ، ومدركين هيكل العقل الجديد ومشكلاته ، فبدون هذه المزايا الخلقية والروحية والعلمية والفكرية لا يستطيعون أن يؤدوا مسؤولية ورثة الأنبياء وحملة الكتاب والسنة ، في عهد الثورة هذا وعصر الفتن الذي أساءت فيه في مواضع ضعفنا الأوضاع الجديدة إلى هيبة العلماء ، وزلزلت الثقة بالعلم والدين ، فتضاعفت المسؤولية من ذي قبل ، هذا ليس قضية العلماء أو المدرسة والمؤسسة ، بل إنها قضية مستقبل العلم والدين في البلاد ، واعتماد الملة عليه وربطها بعلوم الشريعة .

وفقنا الله أن نشعر بمسؤولياتنا ، ونبذل كل ما في وسعنا في أدائها بإخلاص النية وبروح من الاحتساب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بين فكر وفكر

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – المملكة العربية السعودية

هل هناك مفاهيم محدودة ؟ أو قوالب خاصة يوزن بها الفكر ، أو مدلولات معينة توزن بها الأفكار ؟ تختلف عما هو محدد في شريعة الإسلام ؟ ! أو غير ذلك مما نسمعه عن التقعيدات التي يضعها الناس ، في العصر الحاضر عن مسميات الفكر ، والدلالة التي ينبني عليها هذا الفكر ، بحسب مفهوم زيد أو عبيد ، فكل واحد منا عند ما يأتي الحديث عن الفكر ، في حقبة زمنية نعيشها ، فإنه يسمع ويرى أن كل متحدث يطلق مفهوماً حسبما يحلو له عن تقسيمات الفكر ، ولم نجد لذلك اصطلاحا من قبل ، لا في اللغة العربية ، ولا ضمن المقاييس الإصطلاحية بالعلوم المختلفة حسب الوصفات والمصطلحات ، التي يطلقها أصحاب تلك المقولات ، التي منها الإيجابي ، ومنها السلبي المنفر ، خذ مثلاً قول بعضهم :

فلان صاحب فكر ناضج ، فلان عنده مراهقة فكرية ، فلان صاحب فكر متوسط ، فلان عديم التفكير ، فلان أمي التفكير ، زيد من الناس لديه صراع فكري .

وغير هذا مما نسمع أو نقرأ ، عند بعض الكتاب ، في توزيعهم لأفكار الناس ، ونظرتهم إليهم ، فكأن الأفكار بضاعة تباع ، ومثل ذلك : فلان عنده شيخوخة فكرية ، وفلان متخلف التفكير .

لكن عند ما يريد الإنسان ، أن يطبق هذه الأفكار ، بهذا التقسيم ، لا

نجد قاعدة ثابتة ، أو مصطلحات تطبق بمعايير الإنسان ، يمكن أخذها وصفا لهذا الفكر أو ذاك .

فكأن الفكر في هذا المفهوم ، وبهذه التسميات ، جزء من عمر الإنسان ، يسير مع أيام حياته ، ليعطي كل حالة ما يناسبها بالعمر الزمني ، وبهذا المقياس لا بد من إضافة : فكر طفولي ، والفكر الكهولي ، والفكر المخرف ، من التخريف ، وفقدان العقل ، بعد طول العمر .

إن هذه الكلمات والنعوت ، التي نجدها في قواميس المتكلمين ، والذين يطلق عليهم الناقدون ، حيث تقال بدون ميزان ثابت ، ولا قالب معين ، يمكن المناقش ضمن الإطار الذي يريده مطلقها ، إن هذا لمما يطلق بدون روية ، وكأنهم يجددون في اللغة معايير ، عجزت عنها المعاجم ، وهذا يحدو ببعض المتابعين لدلالة هذه الكلمة عندهم ، إلى الحيرة عما تعنيه هذه التقسيمات ، وعما يقصد إليه الكاتبون والمتحدثون وما يرمي إليه المهتمون بمقاصد هذه الدلالة ، والمقاييس المعتدلة فيها .

أو كأنهم يريدون تجديداً في الفهم اللغوي ، مثلما أراد أناس من قبل : تجديد ألفاظ ومعان في لغة الضاد ، ووضعها على معايير العصر بالتجديد في كل أمر ، ونبذ القديم ، حتى الفكر والدلالة ، فباءت بالفشل .

والذي يجب أن نعرفه عن الفكر ، أنه ليس بمعزل عن الإسلام ، بل إن تعاليم هذا الدين تقود الفكر للمنهج السليم ، لأن هذا الدين بمصدري التشريع فيه ، قد حثا الأمة على التفكير ، ودعوا إلى بأعماله والاهتمام به ، لأنه السبيل إلى المعرفة الحقيقية ، والمنقذ للنفس البشرية ، من متاهات الحياة ، والخروج بها من البلبلة .

ونحن معاشر المسلمين ، نأخذ مفهوم التفكير من كتاب الله سبحانه ، حيث أمر جل وعلا الإنسان ، وحثه على التفكير ، تسع عشرة مرة ، وهذا

يعطي أهمية على مفهوم التفكير ، من منطلق عقدي يربط المخلوق بخلقه ، وترغيباً للنفس البشرية بالتفكير ، وتمكيناً لها في الإدراك ، والغوص وراء الظواهر ، حيث يكون العمل قد جاء عن بصيرة وعمق ، علاوة على التوجيهات المكينة ، النافعة للإنسان ، بما أكرمه الله بها ، حتى يرتبط بالفكر من دلالة إيمانية ، وانتماءً عقدياً .

وإذا كان الإمام البيهقي يرى في كتابه : المحاسن والمساوئ : أن كل شيء له وجهان : وجه حسن يوضح المحاسن ، وهو الوجه المشرق في خصال ذلك العمل ، ووجه سيئ تبرز فيه الأضداد ، وهو الوجه المظلم في خصال ذلك العمل نفسه ، ويؤصل هذه الدلالة التي أوردها في كتابه ذلك ، بقرائنها .

فإن هذه سمة في البشر ، إن أحبوا مدحوا وإن أبغضوا قدحوا : بالذم والتجريح ، وقد أوضح الشاعر هذا الجانب ، في تعبيره عن العسل ، موضحاً أن له مفهومين في عرف الناس ، بقوله :

تقول هذا أجاج الشهد تمدحه وإن تعب قلت ذا قيئ الزنابير

والذبذبة الفكرية التي تفشت في كثير من المجتمعات الإسلامية ، نشأ عنها ما يسمى بالمدرسة العقلانية ، أو العقلية – نسبه إلى العقل – وهو موطن الإدراك في الإنسان ، الذي وضح الله في كتابه الكريم ، أن موطنه القلب ، ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج الآية/٤٦) بخلاف ما تباينت فيه آراء البشر حول الموضوع ، هل هو في المخ ، أو في تجويفات وفراغات الرأس .. فالله أحكم وأعلمها بأنه في القلب !!

تقول عن نشأة تلك المدرسة ، بأن سبب ذلك التوجه ، إنما سعى فيه من بهرتهم حضارة الغرب ، وتأثروا بأفكار فلاسفتهم ، فأرادوا نقل ذلك كشيء جديد للبيئات الإسلامية ، في محاولة للتوفيق والربط بين النصوص الشرعية الإسلامية ، وما تدعو إليه من مثل وأخلاق ، وسلوك وترابط ، وبين

الفكر الغربي المراد قسره : نصاً ودلالةً لما يراد تحقيقه ، ومن ثم تقييد المجتمع الإسلامي به ، ولو كان بعيداً عن منهج تعاليم دين الله : الذي اختاره لخير أمة أخرجت للناس .

ألا ترى أن المبادئ عندهم تتغير بين حين وآخر ، ومصطلحات المسميات عن المذاهب والسلوكيات ، مما يبرهن على أن العقل البشري قاصر ، وأن ما يرونه صالحاً اليوم ، يغيرونه غداً ، لعدم وجود القاعدة الثابتة ، والواضحة في معتقدهم ، والبشر يخطئون كثيراً .. أما القاعدة الإسلامية فهي ثابتة لا تتغير ، مع مرور الأيام ، لأن ما أراده الله مخاطبة للعقل ، إنما يدعو للتفكر فيه ، وتأصيل جذوره ، ولا يقبل الجدل أو التبدل ، مع تغير مفاهيم الناس ، يقول سبحانه : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (النساء الآية/٨٢) .

وإذا عدنا إلى مفاهيم ، أو مصطلحاتهم عن الفكر ، وتنويع هذه المسميات ، فإننا لا نجد في المدلول الشرعي ما يؤيد تلك المصطلحات التي تتكاثر وتتجدد وينسي بعضها بعضاً مع الأيام .

وإنما نجد الفكر واحد لا يتجزأ ، وأنه إنما يكون فكراً حسناً يهدي صاحبه إلى المنهج السليم ، ويوصله إلى مرفأ الأمان ، أو يكون سيئاً ، يقود صاحبه إلى الهاوية والمنحدرات ، في الدار الآخرة ، ولذلك يدعو الله سبحانه في كتابه الكريم : أهل الضلال إلى إعمال فكرهم ، بالأسباب والمسببات ، لعله يتغير في الفكر السيئ الذي قادهم إلى الهلاك والخسارة ، إلى فكر حسن ، تنفتح به أمامهم ، أبواب الخير ، وأنوار الهداية والرشاد .

فوائد الصبر :

قال شريح القاضي : إني لأصاب بالمصيبة ، فأحمد الله عليها عز وجل ، أربع مرات : أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ،

وأحمده إذ وقفني للإسترجاع ، لما أرجو فيه من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني .

قال التنوخي : ويشبه هذه ما روى عن "بزر جمهر الحكيم" الذي كان وزيراً لأنوشروان : فإنه حبسه عنه غضبه ، في بيت كالقبر ، ظلمة وضيقاً ، وصفده بالحديد ، وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر أن لا يزاد في كل يوم ، على قرصين : خبزاً شعيراً : وكف ملح جريش ، ودورق ماء ، وأن تحصى ألفاظه فتنقل إليه ، فأقام "برز جمهر" شهوراً لا تسمع له لفظة .

فقال أنوشروان : أدخلوا عليه أصحابه ومروهم أن يسألوه ويفاتحوه في الكلام ، وأسمعوا ما يجري بينهم وعرفونيه فدخل عليه جماعة من المختصين – كانوا – به ، فقالوا له : أيها الحكيم ! نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشدة التي وقعت فيها ، ومع هذا فإن سحنة وجهك ، وصحة جسمك ، على حالهما ، لم تتغيرا ، فما السبب في هذا ؟

فقال : إني عملت جواشاً من ستة أخلاط – يعني تركيبات الأدوية – ، آخذ منها كل يوم شيئاً ، فهو الذي أبقاني على ماترون .

قالوا : فصفه لنا ، فعسى أن نبتلى بمثل بلواك ، أو أحد من إخواننا فنستعمله ونصفه له .

قال : الخلط الأول : الثقة بالله عز وجل ، والخلط الثاني : علمي بأن كل شئ مقدر ، والخلط الثالث : الصبر خير ما استعمله الممتحنون ، والخلط الرابع : إن لم أصبر أنا ، فأي شئ أعمل ، ولم أعين على نفسي بالجزع ، والخلط الخامس : قد يمكن أن أكون في شر مما أنا فيه ، والخلط السادس : من ساعة إلى ساعة ، يأتي الفرج .

فبلغ كلامه هذا كسرى ، فعفا عنه (الفرج بعد الشدة للتنوخي) .

عشرة ذي الحجة الحرام ...

فضائلها وخصائصها

بقلم : الأستاذ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
(المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام)

الحمد لله الذي أعاد مواسم الخيرات على عباده تترى ، وأعلى لأهل الخير من خلقه بالعمل الصالح ذكراً ، وجعل للأيام والليالي بعضها على بعض رتبة وفضلاً ، فله سبحانه الحمد لله في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ، أما بعد :

فلقد أظلت المسلمين أيام مباركة ، جعل الله لها على سائر الأيام فضلاً وذكراً ، ألا وهي أيام عشر ذي الحجة ، التي نوه سبحانه بذكرها في أول سورة الفجر في قوله عز وجل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ .

ولقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير ما وجه وعن عدة وجمهرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن عباس رضي الله عنه الجميع يرفعه :

"ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام العشر .

قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ، قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء .

فعشرة أيام ذي الحجة أفضل الأيام في العام ، كما أن عشر رمضان

الأواخر أفضل ليالي الله ولذا استحقت التنويه بإقسام الله بها .

وعشر ذي الحجة هي مفتحة شهر حرام هو ذو الحجة ، وفيها قصد الحاج لبيت الله الحرام تعظيماً لله وتعبداً ، وفيها يوم عرفة الذي يغفر الله لعباده فيه مغفرة ، يحزن لها الشيطان ويغتم ، حيث مارئي عدو الله أحقر ولا أدحر ولا أصغر منه في يوم عرفة ، لما يرى من تنـــزل الملائكة والرحمة من الله على عباده ، ومباهاته سبحانه بأهل عرفة ملائكته ، فبالله كم عبد أدركته رحمة ومغفرته وعتقه من النار ! فلله الحمد والثناء على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى .

وفي العشر يوم الحج الأكبر ، يوم العيد عيد الأضحى الذي فيه أكثر أعمال الحج ومناسكه ، وفيه يريق الموحدون دماء هداياهم وأضاحيهم لله عز وجل نسكاً وذبحاً ونحراً له سبحانه توحيداً وعبودية وتقرباً دونما شريك له في ذلك .

وفي العشر الأولى من ذي الحجة يشرع التكبير المطلق من رؤية هلاله إلى فجر يوم عرفة ، فيكون شعار العشر التكبير : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، فقد كان أبو هريرة وابن عمر يخرجان إلى السوق – في العشر – فيكبران ويكبر أهل السوق بتكبيرهما فيشرع التكبير جهراً للرجال في البيت والسوق والعمل والطرقات ، وللنساء سراً فيما بينهن ، فيشتغل اللسان والقلب بذكر الله وتكبيره وتهليله فيتعوده ولا يزال رطباً بذكر الله في العشر وبعدها بالتسبيح والتحميد والحوقلة والدعاء .. الخ .

ويكون من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق ، وهو الثالث عشر من ذي الحجة ذكراً مقيداً عقب الصلوات المفروضة في المساجد ، ويجتمعان أعني الذكر المطلق والمقيد في حق الحاج في أيام التشريق ، حيث المحرم بالحج يكون إلى ضحى يوم العيد منشغلاً بالتلبية : لبيك اللهم لبيك .. حتى يقطعها عند رميه جمرة العقبة مكبراً مع كل حصاة .

ومن خصائص العشر جنس العمل الصالح قربة وتعبداً إلى الله عز وجل من أداء الفرائض ، والتقرب إليه سبحانه بالنوافل ، ولا حد لجنسها كثرة وتنوعاً ، في البر والصلة والصدقات وأداء الديون وتفقد المحاويج وشهود الجماعات ، الخ ، وأهم ذلك ما يكون في العشر السعي إلى أداء ركن من أركان الإسلام ، بقصد بيته الحرام حجاً وعمرة .

ومن خصائص العشر ما خص الله به يوم العاشر منه وهو يوم عيد الأضحى بشعيرة الأضاحي لأهل الآفاق ، مشاركة لأهل الموسم في هدايا حجهم تمتعاً وقراناً وللأضحية متأكدة على من يجد سعة ويساراً من مال ، لا ينبغي للمسلم تركها مع القدرة عليها ، ويشرع له اختيار أضحيته من الغنم ، وهو في الكبش الأقرن الأملح السمين أفضل ، لكنها تجب لمن أوجبها على نفسه بالقدر .

ومن خصائص العشر أن يحرم على من يضحى أن يأخذه في العشر من شعره وظفره وبشرته شيئاً ، كذا نص الفقهاء رحمهم الله رواه مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ترفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا دخل العشر ، وأراد أحدكم أن يضحي ، فلا يأخذ من شعره ، ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي" ليشارك أهل البلدان من المسلمين أهل الموسم في إحرامهم عن هذه المحظورات من حلق الشعر وتقليم الظفر ، وهذا الحكم خاص في المضحي فقط دون من ضحي عنه .

فحرصك – يا رعاك الله – على اغتنام عمرك بمواسم الخيرات ، لتنال المثوبة العظيمة على العمل القليل ، فمن لطف مولانا رحمته أن رتب على العمل القليل ثواباً جزيلاً ، لا حرمنا الله وإياك أيها المؤمن حسن الجزاء وصالح العمل وجعلنا ممن يغنمون أعمارهم ومقبول أعمالهم ، وأن يتقبل منا ومن المسلمين ، وأن يرضى عنا ويوجب لنا جنانه ويحرمنا على نيرانها آمين .

وصلى الله على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

القرآن وعلم النفس
الانفعالات في القرآن الكريم

بقلم : نظام الدين ك. م. مرتا
OHSS TIRURANGADI MALAPPURAM DIST KERALA
E-mail: kmnisamudheen@gmail.com

الحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم ، يعلم القائل في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ – وأفضل الصلاة وأتم السلام على خاتم النبيين محمد القائل ، خيركم من تعلم القرآن وعلمه (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وأما بعد ، أيها الإخوان في الله السلام عليكم ورحمة الله ، موضوعنا المبعوث في هذه الفرصة المتاحة "الانفعالات في القرآن الكريم" .

القرآن الكريم يسعى إلى تطوير شخصية من الأفراد وتشكيل مجتمع مثالي منهم ، وبهذا يصف القرآن إرشادات ومبادئ جميع العلوم ومنها علم النفس (Psychology) .

هنا نبحث في هذه الورقة ناحية صغيرة من علم النفس هو "الانفعالات في القرآن الكريم (Emotions in the Holy Quran) – علم النفس هو علم من علوم النفس والعقل وعلم من اللاوعي ، ننطلق منه إلى مناقشة عن الانفعالات وأنواعها في اختصاص القرآن الكريم .

جاء في القرآن وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان ، مثل الخوف ، والغضب والحب ، والفرخ ، والكره ، والغيرة ، والحسد ، والندم ، والحياء ، والخزي ما إلى ذلك ...

وهناك علاقة كبيرة بين الدوافع والانفعالات ، فالدوافع تكون عادة مصحوبة بحالة وجدانية انفعالية ، أن الانفعال يقوم بتوجيه السلوك مثل دافع

الحب ، ولانفعال الحب دور بارز في حياة الإنسان ، ومن صوره ما يلي :

حب الله تعالى ورسوله :

ذروة الحب وأكثره صفاءً ونقاءً هو حب الله ، فهو الرباط الوثيق الذي يربط الإنسان بربه ، وهو الأساس الذي يبني عليه صرح شخصيته ويسمو بأخلاقها ويقوم ما يصدر عنها من سلوك ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران الآية/٣١) .

حب الذات :

فكل إنسان يحب الحياة ، ويحب أن يمتلك كل ما فيه خير وأمن وسعادة لذاته لتهيئة سبل الراحة والرفاهية لها ، يجب أن يقرأ قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات الآية/٨) ، ويجنبها ما يسوؤها أو يضرها .

ويؤكد ذلك قول الحق سبحانه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ، إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف الآية/١٨٨) .

حب الأبوين :

حب الوالدين انفعال فطري يبدأ مع الإنسان – ذكراً أو أنثى – غير أنه يتركز في البداية نحو أمه باعتبارها المصدر البيولوجي الوحيد لحاجاته الجسمية والنفسية ، ثم تتسع دائرة الجانب النفسي للطفل ، فيشعر بمشاركة الأب مع الأم في إشباع حاجاته النفسية ، فيتركز نحو ذات الأب انفعال حب طفله له ، ومع تقدم العمر الزمني للطفل تتسع دائرة انفعال الحب ويتجرد عن مظهر الإشباع البيولوجي لحاجاته .

يمثل هذا الحب النامي المتسامي للعلاقة الوثيقة للإنسان بوالديه استجابة فطرية لقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان الآية/١٤) .

وحب الأب والأم لأبنائهما انفعال يدفع الأم والأب للحنو والعطف

عليهم ورعايتهم وإبعادهم عن الأخطار والمهالك .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قصة نوح إذ طلب من ابنه أن يركب معه في السفينة لينجو من الغرق قال تعالى :

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود الآية/٤٢) .

ويظهر الحب الأبوي جليا في حب يعقوب لإبنه يوسف وأخيه الأصغر قال تعالى : ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف الآية/٨) .

حب الناس :

يعتبر هذا الانفعال حاجة نفسية واجتماعية لكي تعم الألفة والانسجام مع الآخرين ، والموازنة بين حب الذات وحب الآخرين والتعاون معهم وتقديم المساعدة والعون لهم ، قال تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران الآية/١٠٣) .

وقد أثنى الله على إيثار الأنصار لإخوانهم المهاجرين إليهم من مكة على أنفسهم قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر الآية/٩) .

من خلال ما سبق نجد أن الحب كان انفعال جزء مهم في شخصية الإنسان وموجهاً لسلوكه لجلب الخير والمنفعة ولدفع الشر والضرر والخطر عنه ، وهنا تبرز أهمية تربية انفعال الحب عند المؤمن وضبطه بغرس حب الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) في نفسه وتقويته وتنميته باتباع الأساليب التي تتلاءم مع شخصيته وطبيعته باعتبار أن جميع أنواع الحب الأخرى تتوازن وتتناغم لتسخير جميع طاقاته الجسدية والنفسية والفكرية لتساعده في جني ثمار حياته والوصول إلى

غايته العظمى بها وهي العبودية الحقة لربه والظفر بالجنة والنجاة من النار في الآخرة

الفرح :

الفرح من الانفعالات الإنسانية الفطرية التي لا بد أن تنتاب كل واحد في فترة من فترات حياته بأيامها وساعاتها قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم الآية/٣٤) .

ولقد بين لنا القرآن الكريم المنهج السليم الذي يجب أن يقوم عليه الفرح لدى الفرد ، فالفرح أمر نسبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة ، وبين القرآن أن الفرح والسرور والسعادة الحقة إنما تكون نتاج العمل الصالح .

وأن تمسك الإنسان بالإيمان والتقوى والعمل الصالح هو السبيل للحصول على السعادة في الحياة الآخرة والأمن والطمأنينة والسرور والفرح الدائم .

قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل الآية/ ٩٧) .

الحياء :

الحياء "انفعال مركب ، فيه عناصر من الخجل والخوف ، وهو يعتري الإنسان إذا خاف أن يرى الناس فيه ما يمكن أن يعاب أو يذم ، وهو من السمات الإنسانية ؛ لأنه يدفع الإنسان إلى تجنب الأفعال القبيحة العائبة .

ومن المواضع التي ذكر فيها انفعال الحياء في القرآن الكريم قصة سقاية موسى فتاتين كانتا تنتظران بجانب البئر في أرض مدين ، وجاءته إحداهن بعد ذلك تمشي على استحياء ودعته لمقابلة أبيها ، فقال تعالى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص الآية/ ٢٥) .

الزهو أو العجب أو الكبر :

الزهو هو الإعجاب بالنفس ، والتعاظم والكبرياء والعجب ، ظن كاذب بالنفس باستحقاق مرتبة غير مستحقة لها وحقيقة على من عرف نفسه

أن يعرف كثرة العيوب والنقائص التي تعتريها ، فإن الفضل مقسوم بين البشر لا يكمل الواحد منهم إلا بفضائل غيره ، وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب أن لا يعجب بنفسه ، والكبر : انفعال ناتج عن غريزه حب السيطرة ، وقد ذم القرآن الكريم الزهو والكبر والتعالي على الناس ومعاملتهم في تحقير واسكتبار ، قال تعالى : ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (الإسراء الآية/٣٧) ولعل في شخصية فرعون النموذج الأبرز للزهو المتطرف والتكبر والتعالي الإنساني ، قال تعالى : ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى﴾ (النازعات الآيتان/ ٢٣ – ٢٤) ، والخوف هو انفعال يحدث في النفس لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب .

وهو نوعان : (١) خوف من الله ومظهره طاعة الله والخشية له والحذر من مخالفته ، مثاله قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (سورة الأنفال الآية/٢) خوف من سواه ومظهره الترقب والانتظار لحلول مكروه ، ومثاله قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء الآية/٧٧) وانفعال الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله ، وقد وصف القرآن الكريم هذا الاضطراب بالزلزال الشديد الذي يهز الإنسان هزاً شديداً فيفقده القدرة على التفكير والسيطرة على النفس ، قال تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ (الأحزاب الآية/ ١٠ – ١١) .

الغضب :

الغضب انفعال تفرضه الطبيعة السوية للإنسان إذ يساعده على المواجهة إذا ما اعتدي عليه والدفاع عن نفسه أو عن عقيدته أو وطنه فيتهيأ

لعملية الدفاع أو درء الخطر ، ولقد أقر القرآن الكريم هذا النوع من الغضب في حق من عاند وكفر وأعان الخصومة للمسلمين ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة الآية/٧٣) ، ويرى أبو حامد الغزالي أن الغضب قوة كامنة في النفس لا تثار إلا بمثير يفجر ثابتها ويقول : "إن الأسباب المهيجة للغضب هي : الزهو والعجب والمرح ، والهزل والتعيير ، والمماراة المضادة والغدر وشدة الحرص على المال والجاه ، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً وعقلاً ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة أسبابها بأضدادها" .

لقد أكد القرآن الكريم أن الغضب حالة طارئة يحركها موقف مناف للرغبة أو ما يعوق تحقيقها وأن من رحمة الله تعالى أن لا تقوم انفعالات الغضب طويلاً فلو أنها كانت تدوم لانقرض المخلوق الإنساني أو على الأقل تتعطل مسيرة الحياة ، وما أراد الله لها أن تدوم ، فالله يعلم طبعية الإنسان وما يحدث له من التغيرات الفسيوليوجية المصاحبة للانفعال كاضطراب التنفس وسرعة ضربات القلب وارتفاع نسبة الأردينالين الذي يؤثر على الكبد ، ودائماً يلاحظ على الإنسان عقيب الانفعال شيء من الإعياء نتيجة كثرة احتراق الطاقة الداخلية ، إن سكون الجسم بعد مدة قصيرة من الانفعالات التي أثبتها القرآن الكريم ضمن حقائقه الثابتة .

الغيرة :

انفعال الغيرة انفعال مركب من حب التملك ، وشعور بالغضب لأن العائق إما وقف دون تحقيق غاية مهمة ، ولا يعترف الفرد عادة بالغيرة ، وسبب هذا ما تتضمنه من الشعور الناتج من الإخفاق بل كثيراً ما تكبت الغيرة لأن النفس الشعورية لا تقبل ألم الخيبة ولا شعور النقص ، غالباً ما تكون الغيرة مصحوبة بالكره والحقد والرغبة في إيذاء الشخص الذي يثير الغيرة ، ونظراً لتعقد الغيرة نجد أن مظاهرها تتعدد وتختلف فمن مظاهرها الغضب بمظاهره المختلفة من ضرب أو سب أو هجاء أو تشهير ، أو نقد أو مضايقة ، أو تخريب ، أو ثورة ، أو عصيان ، أو إلى غير ذلك من مظاهر الشعور بالنقص وقد وصف القرآن الكريم

الغيرة في نفوس إخوة يوسف منه بسبب حب أبيهم يعقوب له ولأخيه الأصغر وتفضيله لهما عليهم قال تعالى : ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف الآية/٨) .

الحسد :

والحسد انفعال يشعر فيه الإنسان بكراهية رؤية غيره أفضل منه في نعمة ما ، ولذلك فهو يتمنى الحصول عليها ، مع تمني زوالها عن الغير ، والحسد مذموم ومنهي عنه شرعاً ، وقد ورد ذكر الحسد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء الآية/٥٤) وقد وصف القرآن الكريم حسد اليهود والمشركين للنبي (صلى الله عليه وسلم) على ما خصه الله به من فضل النبوة وحسدهم للمؤمنين على ما خصهم الله به من فضل الإيمان والهداية قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة الآية/١٠٩) ولقد أمرنا ربنا أن نستعيذ به من الحسد قال تعالى : ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق الآية/٥) .

الكره :

الكره مضاد للحب وهو عبارة عن شعور بعدم الاستحسان ، وعدم التقبل ، أو الشعور بالنفور والاشمئزاز ، وبرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تثير هذا الشعور ، سواء أكانت أشخاصاً أم أشياء أم أفعالاً ، وقد ورد انفعال الكراهية في مواضع عدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَاأَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا

بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران الآيتان/ ١١٨ – ١٢٠) .

الحزن :

الحزن انفعال مضاد للفرح والسرور ، وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصاً عزيزاً أو شيئاً ذا قيمة كبيرة ، أو حلت به كارثة ، أو فشل في تحقيق أمر مهم ، ولذلك ينفر الإنسان منه ولا يحبه ، والحزن انفعال طبيعي ، يكون مصحوباً في أغلب الأحوال بفقد المصادر الهامة لإشباع الرغبات والحاجات ، ويخلط كثير من الناس بين مفهومي الاكتئاب والحزن ، فالحزن والاكتئاب لفظان بمعنى واحد ولكنهما يختلفان في الشدة والمدة الزمنية ، فالأول انفعال والثاني مرض .

الحزن انفعال فطري ، ينتاب كل البشر عند ما تقابلهم متاعب الحياة الدنيا ، وقد وصف الله حزن يعقوب عند فقد يوسف – عليهم السلام – في قوله تعالى : ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف الآية/ ٨٤) .

الحزن تكدير للحياة وتنغيص للعيش ، وهو مصل سام للروح ، يورثها الفتور والنكد والحيرة ، ويصيبها بوج ومقاتم تتذبل أمام الجمال ، فتهوي عند الحسن ، وتنطفئ عند مباهج الحياة ، فتحتسي كأس الشؤم والألم ، فعلى الإنسان جلب السرور واستدعاء الانشراح وسؤال الله الحياة الطيبة والعيشة الرضية ، وصفاء الخاطر ، وراحة البال ، فإنها نعم عاجلة حتى قال بعضهم : إن في الدنيا جنة ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

وسائل لضبط ومعالجة الانفعالات :

استشارة الحكماء من أهل العلم والدين إلى وسائلها هو التوكل والتصبر ، وتهذيب النفس ، والتسامح لعلاج القلق والتوتر النفسي ، أيها الإخوان نذكر هنا كلام الله تعالى : ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

نداء إلى الشباب

بقلم : الأستاذ اشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

يمثل الشباب في غالبية المجتمعات نسبة كبيرة من أبنائها ، فهم حاضر أي مجتمع ومستقبله ، وهم الذين سيتولون زمام الأمور غداً إذا أحسن إعدادهم وتجهيزهم دينياً وتربوياً ، نفسياً وعلمياً ، ليكونوا مسلحين بالقيم والأخلاق ، وبالثقة بالنفس ، ومعطيات الحداثة والعلم ، حتى يستطيعوا مواكبة التحديات التي تفرضها متغيرات العولمة ، بل ومواجهة مؤامرات الحاقدين الكارهين لهذا المجتمع ، ولقد اهتم الإسلام بالشباب ، فأوصانا الرسول عليه الصلاة والسلام بهم ، يقول في الحديث الذي رواه البخاري : (أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة ، لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ) ، ثم تلا قول الله تعالى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد الآية/ ١٤) كما ضرب رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام مثلاً في الاهتمام بهم وتربيتهم التربية القيادية .

فها هو نجده نفسه بكوكبة منهم ، يحملهم جلائل الأعمال وهم في نصارة الشباب ، فهذا علي بن أبي طالب الفتى الشاب نراه ينام في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليلة الهجرة ، ويعرض حياته للخطر بلا خوف أو جبن ، ويؤدي الأمانات التي وكل إليه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يردها إلى أهلها ثم يهاجر وحده ، وهذا سعد بن أبي وقاص الفتى الشاب نراه في غزوة أحد ، وقد اشتد الأمر على المسلمين وتفرق الكثيرون ، يقف بجوار النبي في شجاعة وثبات ، يدافع عنه بنباله وسهامه ، والرسول يقول له حاثاً ومشجعاً : (ارم فداك أبي أمي ، ارم أيها الغلام الحزور "أي القوى") عن سعيد بن المسيب يقول : قال علي : ما

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أباه وأمه لأحد إلا لسعد بن أبي وقاص ، قال له يوم أحد : (ارم فداك أبي وأمي وقال له : ارم أيها الغلام الحزور) ويظل سعد يرمي حتى يبلغ ما رماه قرابة الألف ، ثم يتناول سهماً ويقول : اللهم سهمك ، فارم به عدوك ، ويزكي الرسول رجاءه قائلاً : (اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته) وحقق الله دعاء رسوله ، فكان سعد فارساً مسدد الرميات ، مجاب الدعوات ، وعن قيس بن أبي حازم عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم استجب لسعد إذا دعاك) ، وهذا أسامة بن زيد ، الفتى الشاب يجعله الرسول عليه الصلاة والسلام أميراً على جيش المسلمين قائلاً له : (اغز باسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله) وفي الجيش كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن أسامة رضي الله عنه قد أتم التاسعة عشرة من عمره حينئذ ، فقد قيل : كان عمره ثماني عشرة ، وقيل : تسع عشرة سنة ، وقيل : سبع عشرة سنه ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين والأنصار ، ولما بلغ رسول الله مقالتهم وطعنهم في ولايته مع حداثة سنة غضب غضباً شديداً ، وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وأنهما مظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم) ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى الخلافة أبو بكر الصديق ، حدث الأنصار سيدنا عمر بن الخطاب أن يبلغ أبا الصديق أنهم يطلبون أن يتولى أمرهم رجل أقدم سنا من أسامة ، فلما ذهب بما حدثوه إلى أبي بكر الصديق ، وثب أبو بكر وكان جالساً وأخذ بلحية عمر ، وقال : ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه ، وخرج سيدنا أبو بكر الصديق مودعاً لجيش أسامة ، وقد كان أسامة

راكباً جواده ، وأبو بكر يسير في ركابه ماشياً ، فقال له أسامة : إما أن تركب وإما أن أنزل ، فقال له : والله لا تنـــزل ولا أركب ، وما علي أن اغبر قدمي في سبيل الله ساعة ! ولقد سار صحابة رسول الله على سنته في العناية بالشباب وتوجيههم وعرفان قدرهم ، وهذا هو الإمام الزهري يقول لطائفه من الشباب : لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم ، يبتغي حدة عقولهم ، ومن بعد الفاروق جاء حفيدة خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز الذي نراه يستقبل وفداً قدم من الحجاز لتهنئته بالخلافة ، فتقدم شاب صغير السن لم يبلغ إحدى عشرة سنة ليتكلم ، فقال له خامس الراشدين : ليتكلم من هو أسن منك فقال الفتى : يا أمير المؤمنين : ليس الأمر بالسن ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاز له الاختيار واستحق الكلام ، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا ، فأعجب عمر بالشاب وشجاعته وحسن منطقه وقال له : صدقت ، تكلم أيها الغلام ، فهذا هو السحر الحلال ! فقال الفتى : يا أمير المؤمنين ، نحن وقد التهنئة ، لا وفد المرزئة "طلب المعونة" ما تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، لأننا أمنا في أيامك ما خلفنا ، وأدركنا ما طلبنا ، فتعجب عمر من كلامه وأنشد قائلاً :

تعلم فليس المرء يولد عالمـــا *** وليس أخو علم كمن هو جاهل
وأن كبير القوم لا علم عنـــده *** صغيراً إذا التفت عليه المحـــافل

ولما دخل الخلفية المهدي البصرة ، رأي إياس بن معاوية ، الذي ضرب به المثل في الذكاء وهو صبي ، وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة ، فقال المهدي : أف لهذه العثانين ، أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ، ثم التفت إليه المهدي وقال : كم سنك يا فتى ؟ فقال : سني "أطال الله بقاء أمير المؤمنين" سن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم لما ولاه رسول الله جيشاً فيه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فقال : تقدم ،

بارك الله فيك ، وكانت سنه سبع عشرة سنة ، والرسول عليه الصلاة والسلام لا يرضى للشباب أن يستحيوا لنـــزواتهم الجامحة أو أهوائهم ، بل يرضى لهم الفضيلة ، والحكمة والرزانة ، ولذلك يقول (خير شبابكم من تشبه بكهولكم "شيوخكم") رواه السيوطي ، أي في عمق التفكير ورزانة التصرف وبراعة القيادة ، وما يغلب عليهم من وقار وحلم وهما صفتان محمودتان ، كما يرضي للشباب الجد في ميدان الهداية والتقوى ويكرم من يفعل ذلك خير تكريم حين يقول (إن الله تعالى ليباهي ملائكته بالشباب الصالح) ، يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يقول حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس : الخير كله في الشباب .

لهذا ومن بعد ما تقدم فإنني أتوجه إلى الشباب منادياً إياهم بالآتي :

أيها الشباب لقد تفاقمت وتراكمت المشاكل التي يعاني منها وطننا العربي والإسلامي ، فإحدى دوله محتلة منذ أكثر من نصف قرن ، من عدو ، لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة ، شرد أبناءها واغتصب أراضيها وانتهك المقدسات الدينية بها ، وثانية وثالثة حتلا منذ مطلع هذا القرن من محتل لا يقل عن سابقه ولا يختلف عنه في عداوته وكراهيته لنا ولديننا ، قضي في إحداهما على الحجر قبل البشر ، وفتت ثانيتهما وساهم في انهيارها انهياراً تاماً وشاملاً ، حيث عمتها الفوضى وسفك الدماء ، ورابعة تعاني من تفتت وحدتها الداخلية وعلي خطوات من نشوب فتنة طائفية بين أبنائها وتقسيمهم إلى طوائف متحاربة معادية بعضها لبعض ، بينما تتحالف هذه الطوائف وتوالي أعداءنا وأعداء أمتنا وأعداء ديننا ، وخامسة مهددة بالدخول في حرب ترصد لها بعض دول العالم الغربي كل ما أوتوا من عدة وعتاد ولا أحد غير الله يعلم متى وكيف ستنتهي هذه الحرب ، وسادسة تسعى لنيل الرضا والقبول من الغرب الأوربي بمزيد من التنازل عن ثوابتها ومعتقداتها ، وأخريات يعشن في مستنقع من الفقر والجهل والمرض يهددهن بانقراض والفناء ، وأخرى تقف موقف المتفرج من كل هذه الأحداث ، وسوف يشهد القرن الحالي ردة تاريخية حيث

ستشتعل الحروب بسبب العقائد والأيدلوجيات ، وسوف تعيد الحروب الصليبية نفسها مهما اختلفت أشكالها ومسمياتها وستشن حملاتها المسعورة على الإسلام والمسلمين ، كما هو واضح وجلي لكل ذي عينين ، من تصريحات كثير من أبناء العالم الغربي سواء كانوا زعماء وقادة أو مفكرين وصحفيين أو رجال دين ، من أن عدوهم اللدود بعد ذهاب الشيوعية هو الإسلام ، ومحاولاتهم الدائمة لشن هجماتهم على الإسلام تحت رداء محاربة الإرهاب والتطرف ، وتطاولهم المتكرر على كل ما هو رمز إسلامي .

أيها الشباب فلتسألوا أنفسكم ما الذي فعلمتوه لتفادي مثل هذه العواقب والأزمات ، وللتصدى للحملات العسكرية المتوقع أن توجه إلينا في أي وقت ومن أي مكان ؟ ما الذي فعلتموه أنتم شباب هذا الجيل لتكملة مسيرة استقلال بلادنا ؟ ما الذي فعلمتوه حتى لا تكونوا أقل شأنا من المسلمين الأوائل والتابعين ، وممن صاروا على هدي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذين نشروا نور الإسلام في العالم كله من الصين شرقاً إلى المغرب غربا ، ومن شمال أوربا إلى جنوب أفريقيا ، وخضعت لهم إمبراطوريتا الفرس والروم ، لا شي ؟!، كل منكم يجرى وراء المطامع والمغانم الشخصية ، لا يبحث إلا عن نفسه ، معتمداً في حل مشاكل بلده وأمته على غيره ، الذي لا يبحث هو الآخر إلا عن حل لمشاكله هو ، ولكن إلى متى وإلى أين ؟ وحضارتنا تنهار أمامنا ؟ ولو كان أباؤنا على علم بما وصلنا إليه الآن من حالات التردي والشرذمة والهون لما بذلوا المال والدم ولا قدموا كل غال ونفيس فداء لتحرير أوطاننا ، أيها الشباب كل ما يدار حولنا ويدبر لنا ، يؤثر على وجودنا وكياننا ، فضلاً عن انعكاس أثره على حياتنا اليومية ، ويحتاج منا ، العودة إلى الله ، والاعتماد عليه عز وجل ثم على سواعد وإرادة أبنائنا وشبابنا ، فنحن نمتلك ذخيرة قوية وثروة بشرية ، من الشباب والرجال ، أثبتت التجارب والمحن الصعبة التي تظهر فيها المعادن أنهم لا يعروفون المستحيل

ولن يحبط من آمالهم ضخامة التحدي ووعورة الطريق ، لأن قدرتهم على العطاء غير محدودة وطاقتهم على تحمل المشاق وتقديم التضحيات ووقفتهم يدا واحدة وصفًّا واحدا يشهد عليها تاريخهم الطويل القديم منه والحديث ، كما نمتلك من الموارد الطبيعية ما يفوق حاجتنا ، إنما تنقصنا الوحدة والتكامل فيما بيننا ، مما يستلزم منا أن نكون أمة واحدة بكل ما تحمله هذه الجملة من معان ومقاصد ، ولو ألقينا نظرة على دول العالم من حولنا لوجدنا أن المنظمات والتكتلات والأحلاف سواء منها العسكري أو الاقتصادي تجمعهم معاً ، وتزيدهم قوة على قوتهم ، وجبروتاً وافتراء على الضعفاء من أمثالنا الذين لا تتحد لهم كلمة ، ولا تجتمع لهم قوة ، ولا يتفقون إلا على ألا يتفقوا ، أيها الشباب لا بد أن يكون لكم دور أيجابي موحد في كل ما يدور في أرجاء وطننا العربي والإسلامي ، نابع من موقف واحد وكلمة واحدة متفق عليها ، اتحدوا أيها الشباب ، ولكننا لا نريدها وحدة تذوب عند أول خلاف ، ولا فريدها تكراراً للشعارات التي لا تثير حتى انتباه العامة ، بل نريدها أن نكون بها ومنها أبناء لوطن واحد وأمة واحدة ، ولتكن بدايتكم من الآن فرحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة فلتخطون هذه الخطوة ، بدايتكم أيها الشباب معاً ستولد جواً من الثقة بين الشعوب ومن ثم الحكومات ، ينعكس أثره على ما نصبو إليه من وحدة كاملة شاملة توفر لنا كل ما نحلم به ونتمناه من مستوى معيشي وحضاري راق ، ليس بكثير عليكم أيها الشباب أن تضحوا بقليل من وقتكم ، لصنع هذه الوحدة ، من أجل أمتنا ، بدلاً من أن يضيع ما بقي لنا من عمر هباء ، تحت أنقاض التفتت ، والخطر الاستعماري ، وسوء الخدمات ، والمجاعات والمرض ، ولينصرف كل منكم عن أطماعه الشخصية قليلاً ، وتعالوا نشمر عن سواعدنا ونشعر بلذة عرقنا وهو يسقط ليدافع وطننا ويؤمن مستقبلنا ومستقبل أولادنا وأحفادنا ، ولتعلموا أيها الشباب أن أعداء دينكم يتربصون بكم الدوائر ، ينتهزون الفرصة للانقضاض عليكم ، فلا تخيل عليكم ولا

فقلوبهم مليئة بالغيظ والحقد ليس تجاهنا على ضعفنا وقله حيلتنا ، ولكن تجاه ديننا ، وبهذا أبلغنا القرآن العظيم ، لا يغرنكم المساعدات والمنح التي يبذخون فيها حينا ويقترون بها حيناً آخر ، فهي وسيلة لاستعبادكم وخضوعكم وتبعيتكم لهم والاعتماد عليهم ، وما هي إلا كمن يدسّ السم في العسل ، لنغرق أكثر أكثر في اعتمادنا عليهم حتى لا تقوم لنا قائمة ، فهذه المجتمعات تصرف مليارات الدولارات على الأسلحة الفتاكة وعلى تسليح الفضاء ، وهذه المجتمعات هي التي تساعد وتساند إسرائيل في انتهاكها لحقوق الفلسطينين والعرب ، وهذه المجتمعات هي التي وقفت موقفاً سلبياً تجاه ما يحدث في العراق ومن قبل في أفغانستان وكوسوفو والبوسنة وغيرها من الدول العربية والإسلامية ، وهذه المجتمعات التي تلقي بالمحاصيل في البحار أو تتلفها حتى لا ينخفض سعرها عند زيادة المعروض بيمنا هناك ملايين من الأطفال يموتون جوعاً ، وما زالت تلك المجتمعات تعيش التفرقة العنصرية التي تكشف زيف ادعاءاتها ، على الرغم مما ترفعه من شعارات حقوق الإنسان وشعارات السلام التي ترفعها لتحدرنا بها .

وهنا أقول لمن فرمن وطنه إلى غربة لا تزيده إلا مهانة ومذلة ، عد إلى وطنك فهو أولى بك ، فوجودك بالخارج لن يزبح المحتلّ من بلادك ، ولن يتم جلاؤه إلا بتواجدك هنا ووقوفك يدا واحدة وصفّاً واحداً مع أبطال المقاومة والمجاهدين للاستقلال التام أو الموت الزؤام ، ويكفيك أن تعلم أن ألد أعدائنا إسرائيل ، تعمل على حشد وتجميع كل يهود العالم في فسلطين المحتلة ، لتكوين قوة عددية تؤمن وجودها وتساعدها على تحقيق أطماعها ، فتعال أنت لنستعد سوياً ، ففي الاتحاد قوة وفي التفرقة ضعف .

****

الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي

(١١١٤-١١٧٦هـ/١٦٩٩-١٧٦٢م)

بقلم: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي
مدينة العين – الإمارات العربية المتحدة

هو الشيخ الإمام الهمام ، حجة الله بين الأنام ، إمام الأئمة ، قدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحد علماء الدين ، زعيم المتضلعين بحمل أعباء الشرع المتين ، محيي السنة ، وعظمت به لله علينا المنة ، شيخ الإسلام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي ، واسمه التاريخي عظيم الدين ، وكان يكنى بأبي عبد العزيز ، وينتهي نسبه من قبل والده إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن قبل أمه إلى موسى الكاظم رحمه الله ، وكان أبوه الشيخ عبد الرحيم (١) من وجوه مشايخ دلهي ومن أعيانهم ، له حظ وافر من العلوم الظاهرة والباطنة مع علو كعبه في طريقة الربانية .

ولادتـــــه :

ولد يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف في أيام عالمغير ، في بيت أخواله بقرية (فُلت) في مديرية (مظفرنغر) بولاية أترابراديش .

ولما بلغ الإمام الدهلوي الخامسة من عمره أدخل الكُتّاب ، وفرغ في أواخر السنة السابعة من حفظ القرآن الكريم ، وكذلك فرغ من العلوم المتداولة في هذه البلاد وهو في الخامسة عشرة من عمره ، وكان قد قرأ طرفاً

(١) انظر ترجمته في كتاب : أنفاس العارفين : ص/٨٣-٨٥ .

من (المشكاة) و (الجامع الصحيح) للبخاري و (الشمائل) للترمذي و (المدارك) والفقه وأصوله ، والمنطق والكلام وغيرها من العلوم على أبيه ، وكان استفاد من إمام الحديث في زمانه الشيخ محمد أفضل السيالكوتي (ت١١٤٦هـ) وانتفع به ، وبايع والده واشتغل بأشغال المشايخ النقشبندية ، وحصلت له إجازة البيعة والتلقين وهو ابن سبع عشرة سنة ، وأجيز بالدرس ، ثم اشتغل بالتدريس نحواً من اثنتي عشرة سنة (منذ ١١٣١هـ/١٧١٩م) ، وحصل له الفتح العظيم في التوحيد ، والجانب الواسع في السلوك ، ونزل على قلبه العلوم الوجدانية فوجاً فوجاً ، وخاض في بحار المذاهب الأربعة وأصول فقههم خوضاً بليغاً ، ونظر في الأحاديث التي هي متمسكاتهم في الأحكام ، وارتضى من بينها – بإمداد النور الغيبي – طريق الفقهاء المحدثين .

رحلته إلى الحرمين الشريفين :

رحلة الإمام الدهلوي إلى الحجاز وإقامته به تحتل في حياته العلمية والفكرية والدعوية والتجديدية محلاً تاريخياً كبيراً ، وتعتبر باباً جديداً وخطّاً فاصلاً بين عهدين ، إنه اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فرحل إليهما في سنة ١١٤٣هـ ، ومعه خاله الشيخ عبيد الله البارهوي الفلتي ، وابن خاله الشيخ محمد عاشق بن الشيخ عبيد الله الفلتي ، والشيخ نور الله الصديقي البرهانوي وغيرهم من أصحابه ، فأقام بالحرمين عامين كاملين ، وصحب علماء الحرمين صحبة شريفة ، وحج في أثناء قيامه مرتين ، وزار المدينة المنورة ، وتتلمذ على كبار شيوخ المحدثين :

١- منهم الشيخ المحدث أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني في المدينة المنورة ، وتلقى منه جميع (صحيح البخاري) ما بين قراءة وسماع ، وطرفاً من (صحيح مسلم) و (جامع الترمذي) و (سنن أبي داؤد) و (سنن ابن ماجة) و (موطأ الإمام مالك) و (مسند الإمام أحمد) و (الرسالة) للشافعي و (الجامع الكبير) ، وسمع منه (مسند الحافظ الدارمي) ، وشيئاً من (الأدب

المفرد) للبخاري ، وشيئاً من أول (الشفاء) للقاضي عياض ، وسمع عليه (الأمم لإيقاظ الهمم) بتمامه ، وأطراف باقي الكتب الستة ، و (كتاب الأم) للشافعي ، فأجازه الشيخ أبو طاهر إجازة عامة بما تجوز له .

وذكر العلامة محسن بن يحيى الترهتي في (اليانع الجني) (٢) أن الشيخ أبا طاهر كان يقول : كان الشيخ ولي الله يسند عني اللفظ وكنت أصحح منه المعنى ، وكتب ذلك في إجازته له أيضاً .

وقد كان الشيخ أبو طاهر – رغم كونه محدثاً جليلاً – حسن الظن بالصوفية محترزاً عن انتقادهم ، يقول الإمام الدهلوي : إني لما ذهبت إلى الشيخ أبي طاهر للتوديع والمغادرة إلى الوطن أنشدني هذا البيت :

نسيتُ كلّ طريق كنتُ أعرفه *** إلا طـــريقاً يـــؤدّيني لِرَبْعِكُم

وكان ردُّ الإمام الدهلوي كذلك ، ويقول الشيخ عبد العزيز الدهلوي : لما أراد والدي العودة من المدينة المنورة ، قال لشيخه أبي طاهر وقد سُرَّ الشيخ بهذا القول : إنني قد نسيت كل ما قرأته سابقاً إلا علوم الدين وعلم الحديث الشريف بصفة خاصة ، وقد صدقت ذلك حياة الإمام الدهلوي وأشغاله وأعماله فيما بعد ، وقد حقق ما نطق به لسانه وأثبت القول بالعمل : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ (٣) {الأحزاب/٢٣} .

يقول الإمام الدهلوي في شأن الشيخ أبي طاهر الكردي : وهو في هذا العصر أحفظ أهل المدينة وأشبههم بالسلف الصالح في سيرته وطريقته ، وإسناده أقوى ومشايخه أكثر (٤) .

٢- ومنهم السيد عمر بن أحمد بن عقيل ، وهو ابن بنت الشيخ عبد الله

(٢) ص/٨١ .

(٣) انظر : رجال الفكر والدعوة : ٤/٤٨٤ .

(٤) انظر : إتحاف النبيه : ص/٧٦ .

ابن سالم البصري المكي ، سمع منه أطراف الكتب الستة وغيرها ، وأجاز له بجميع مروياته ، وهو أخذها عن جده لأمه عبد الله المذكور الذي كان في ذلك العصر حافظ الحديث (٥) .

٣- ومنهم الشيخ تاج الدين القلعي (٦) (ت١١٤٤هـ) مفتي الحنفية بمكة المكرمة ، سمع منه أطراف الكتب الستة ، و (موطأ مالك) و (مسند الدارمي) و (كتاب الآثار) لمحمد ، وأجازه بجميع مروياته عن الحسن العجيمي وأحمد النخلي وعبد الله بن سالم البصري وغيرهم .

٤- ومنهم الشيخ المحدث وفد الله بن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي ، أخذ عنه الإجازة لجميع مروياته عن والده حافظ الحديث ومجمع الفضائل الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي – الذي يملك النسخة اليونينية وجاء بها من (استنبول) إلى الحرمين الشريفين – وقرأ عليه – زيادة على ما تقدم – جميع (الموطأ) برواية يحيى بن يحيى المصمودي ، وأجازه الشيخ بروايته (٧) .

وعاد إلى الهند سنة خمس وأربعين ومائة وألف .

وأعظم الفوائد التي حصلت للإمام الدهلوي في الحرمين الشريفين هو تذوق الحديث الشريف والتوسع فيه ، ومعرفة مناهج علماء الحرمين الشريفين في التدريس والتربية ، والاطلاع على مؤلفات علماء الحديث والتفسير وغيرهما من العلوم في قيامه في الحرمين الشريفين ، وكانت مجاورة بيت الله الحرام وبركات جوارالنبي الحبيب صلى الله عليه وسلم ، والأوضاع المضطربة في الهند، واضطراب الدولة الإسلامية فيها ، والاطلاع على سيطرة القوى الأجنبية ، وإحكام

(٥) انظر : إتحاف النبيه : ص/٧٦ ، و فهرس الفهارس : ١٨٩/٢ .

(٦) انظر : ترجمته في (إنسان العين) : ص/٢٠ ، و أبجد العلوم : ص/٨٤٨ .

(٧) إنسان العين : ص/١٥-١٦ .

استئلائها يوماً فيوماً ، كل ذلك كان من الأسباب والدوافع القوية إلى نية الهجرة والإقامة في الحجاز ، لكنه عزم على العودة إلى الهند ، وكان فيها تحقيق تلك البشارة النبوية التي تلقاها في المدينة المنورة وهي : إن مراد الحق فيك أن يجمع شملاً من شمل الأمة المرحومة بك (٨) .

يمكن أن يفهم سبب رجوعه إلى الهند أيضاً بالرؤيا المعروفة التي ذكرها في مقدمة (حجة الله البالغة) و (الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين) قال : رأيت كأن الحسن والحسين رضي الله عنهما نزلا في بيتي ، وبيد الحسن رضي الله عنه قلم قد انكسر لسانه وبسط إلي يده ليعطيني وقال : هذا قلم جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمسك بيده وقال : حتى يصلحه الحسين ، فليس ما يصلحه الحسين كما لو يصلحه ، فأخذه الحسين رضي الله عنه فأصلحه ثم ناولنيه فسررت به ، ثم جيء برداء مخطط فيه خط أخضر وخط أبيض ، فوضع بين يديهما ، فرفعه الحسين رضي الله عنه وقال : هذا رداء جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ألبسنيه ، فوضعته على رأسي تعظيماً ، وحمدت الله تعالى ، فمن يومئذ انشرح صدري للتصنيف في العلوم الشرعية (٩) .

أعماله بعد العودة من الحجاز :

لما عاد إلى الهند طار صيته في البلاد ، وأقبل الطلاب والعلماء إليه من أطراف البلاد للاستفادة من علومه وفيوضه ، وقال الشيخ عبد العزيز ولده الأكبر : كان والدي قد هيّأ في كل فن وعلم رجلاً من أصحابه ، وكان يعهد بطالب ذلك الفن إليه ، ويسند إليه التدريس في المدرسة الرحيمية ، وتفرغ للأعمال المهمة وخصص أوقاتها لإنجازها وهي :

(٨) انظر : رجال الفكر والدعوة : ٤٨٦/٤ .

(٩) انظر : الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين : ص/١٥٣ .

١. بيان المعارف والحقائق .

٢. الاشتغال بتحرير المعارف والأسرار وتدوينها .

٣. تدريس الحديث الشريف .

قال الشيخ عبد العزيز : وكان إذا انكشف عليه شئ في أثناء تدريسه سجله ، وكان قليلاً ما يمرض ، ويقول : لم أر مثل السيد الوالد في قوة ذاكرته ، ولا أقول : إنني لم أسمع بمثله ولكنني لم أشاهد ، وكان – علاوة على علومه وفضائله – عديم النظير في ضبط أوقاته ، وكان إذا جلس مجلسه بعد الإشراق لم يغير جلسته ولا يحك جسده ولا يبصق إلى الظهر (١٠) .

مآثـــره وفضائلـــه :

١- منها : ما أكرمه الله تعالى به من الفصاحة في اللغة العربية وربطه الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر ، كأنه نشأ ببادية من بوادي هوازن وتميم .

٢- ومنها : علوم الفقه على المذاهب الأربعة وأصحابهم ، واطلاعه على مآخذ المسائل ومنازع الحجج والدلائل .

٣- ومنها : علم الحديث والأثر مع ضبط المتون وضبط الأسانيذ والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد ، ولم يتفق لأحد قبله ممن كان يعتني بهذا العلم من أهل قطره ما اتفق له من رواية الأثر وإشاعته ، والجهود الموفقة للتطبيق بين الفقه والحديث والدعوة إليه .

٤- ومنها : علوم التفسير والقرآن وتأويل كتاب الله العزيز ، ومن نظر في كتبه شهد بتوافر حظه منه ، إنه لنعم الترجمان لكتاب الله وتأويله ، وكاشف حقائقه .

---

(١٠) انظر : ملفوظات الشيخ عبد العزيز : ص/١١ .

٥- ومنها : وصول هذه العلوم ومبادئها التي هذبها الشيخ رحمه الله تعالى تهذيباً بليغاً ، ولخص أمهاتها تلخيصاً عجيباً حتى يكاد أن يصح أن يقال : إنه باني أسّها وبارئ قوسها ، وأما أصول التفسير فكتابه (الفوز الكبير) فيها شاهد صدق على براعته على كثير من أصلها ، والحق أنه متفرد بتحقيق هذا الفن وتحقيقه ، وأما أصول الحديث فله فيها باع رحيب ، وقد أشار ابنه الشيخ عبد العزيز إلى أن له فيها تدقيقات مستظرفة لم يسبق إليها ، وأما أصول الفقه فإنه شرح أصول المذاهب المختلفة وجمعها ، وبين الفرق بين الأمور الجدلية والأصول الفقهية ، وردّ وجوه الاستنباط على كثرتها إلى عشرة ، وأسس قواعد الجمع بين مختلف الأدلة وبين قوانين الترجيح .

٦- ومنها : علم العقائد وأصول الدين ، فإنه أتى بأسرار غامضة في التطبيق بالمأثور مما لا يهتدي إليها في الأعصار إلا واحد بعد واحد ممن يجتبيه الله تعالى ، وقد جمع الله في صدره ما شتته بين المحدثين والمتكلمين والفقهاء .

٧- ومنها : آداب السلوك وعلوم الحقائق ، فإنه أفاض من المعارف والأسرار على أهلها ما شهد بصدقه شاهد صدق من المعقول والمنقول .

٨- ومنها : فنون من علم التفسير كبيان العلوم الخمسة وتأويل الحروف المقطعات في أوائل السور وتوجيه قصص الأنبياء .

٩- ومنها : ترجمة القرآن باللغة الفارسية سماها : (فتح الرحمن في ترجمة القرآن) .

١٠- ومنها : ما ألقى الله في قلبه وقتاً من الأوقات ميزاناً يعرف به سبب كل اختلاف وقع في الملة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، ويعرف به ما هو الحق عند الله وعند رسوله ، قد ذكر نموذجاً من ذلك في (الإنصاف) و (عقد الجيد) و (الهمعات) وغير ذلك من مصنفاته .

١١- ومنها : ما صب الله في صدره من نور كشف له وجوه أسرار الشريعة ، ثم شرح صدره لبيانها ، فعرض الشريعة الإسلامية في صورة متناسقة

مدعمة بالأدلة والبراهين .

١٢- ومنها : بيان مكانة الخلافة و وظيفتها في الإسلام ، وشرح خصائص الخلافة الراشدة ومميزاتها وإثباتها بالأدلة ، والرد على الروافض .

١٣- ومنها : عمله التجديدي القيادي في أهل الاضطراب السياسي واحتضار الدولة المغولية ، والحسبة على مختلف طبقات الأمة ، والدعوة إلى الإصلاح والتغيير .

١٤- ومنها : تمييز السنة السنية من البدع غير المرضية .

١٥- ومنها : القيام بتربية العلماء الراسخين وتخريجهم حتى يقوموا بعده بهذا العمل التجديدي من الإصلاح ونشر الدين الصحيح ، وينقلوه إلى الأجيال القادمة (١١) .

ثناء الأئمة عليه :

قال شيخه أبو طاهر محمد بن إبراهيم المدني : إنه يسند عني اللفظ وكنت أصحح منه المعنى أو كلمة تشبه ذلك ، كتبها في وثيقة إجازته له ، هذا يقرب من قول البخاري في أبي عيسى الترمذي حين قال له : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي ، وليس وراءه مفخرة ترام ولا فوقها منقبة تتمنى .

وقال الشيخ الشرف محمد الحسيني في كتابه : (الوسيلة إلى الله) : كان الزمان أن يكون شبيهاً بزمان الجاهلية ، فاقتضى التدبير الكلي والحكمة الأزلية أن تظهر حقيقة الحقائق بالقدر المشترك الجامع بين علوم النبوة والولاية بل الجامع بين العلوم المعتدة كلها من التفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف والسلوك ، فينزل كل علم منزلته ، ويبلغ كل عبارة وإشارة مبلغه ، وهو الكامل المكمل زبدة المتقدمين قدوة المتأخرين قطب المدققين غوث المحققين

(١١) انظر : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ٤١٤/٦ ، و اليانع الجني : ص/٨٥ ، و رجال الفكر والدعوة : ٥٠٤/٤ .

الشيخ ولي الله الدهوي – سلمه الله سبحانه – .

وذكر الشيخ غلام علي العلوي الدهلوي في (المقامات) أن شيخه الميرزا جانجانان العلوي الدهلوي (ت١١٩٠هـ/١٧٨١م) كان يقول : إن الشيخ ولي الله له أسلوب خاص في تحقيق أسرار المعارف وغوامض العلوم ، وإنه رباني من العلماء ، ولعله لم يوجد مثله في العلماء الربانيين المحققين الذين جمعوا بين علمي الظاهر والباطن إلا رجال معدودون .

يقول الشيخ محسن يحيى الترهتي صاحب (اليانع الجني) : إن العلامة فضل حق بن فضل إمام الخيرآبادي (١٢) (ت١٢٧٨هـ/١٨٦١م) وقعت في يده نسخة من كتاب (إزالة الخفاء) ، فكان أولع بها ويكثر النظر فيها أوان فراغه من درسه وسائر ما يشغله من شأنه، فلما وقف على كثير منها قال لمحضر من الناس : إن الذي صنف هذا الكتاب لبحر زخّار لا يُرى له ساحل (١٣) .

وقد حكي عن المفتي عناية أحمد الكاكوروي (ت١٢٧٩هـ/١٨٦٣م) أنه كان يقول : إن الشيخ ولي الله مَثله كمثل شجرة طوبى أصلها في بيته وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين ، فما من بيت ولا مكان من بيوت المسلمين وأمكنتهم إلا وفيه فرع من تلك الشجرة ، ولا يعرف غالب الناس أين أصلها .

وذكر شيخنا الإمام محمد زكريا الكاندهلوي المدني أني كتبت إلى جميع من يشتغل في الهند بالحديث أن يكتب إليّ سنده إلى أصحاب كتب الحديث ، فتحقق لي من أجوبتهم أنه لا سند لأهل الهند إلا أن الشاه ولي الله قدس سرّه واقع في أثناء سنده .

(١٢) وقد وقعت بينه وبين أبناء الإمام الدهلوي والذين كانوا على طريقته مطارحات علمية، ومناقشات علمية ، لذلك كانت لشهادته قيمة كبيرة .

(١٣) انظر : اليانع الجني : ص/٣٩ .

قال السيد صديق خان القنوجي في (الحطة بذكر الصحاح الستة : ص/١٦١) في ذكر من جاء بعلم الحديث في الهند : ثم جاء الله – سبحانه وتعالى – من بعدهم بالشيخ الأجل ، والمحدث الأكمل ، ناطق هذه الدورة وحكيمها ، وفائق تلك الطبقة وزعيمها : الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ، المتوفى سنة ست وسبعين ومائة وألف ، وكذا بأولاده الأمجاد ، وأولاد أولاده أولي الإرشاد ، المشمرين لنشر هذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد ، فعاد بهم علم الحديث غضاً طرياً ، بعد ما كان شيئاً فريّاً ، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيراً من عباده المؤمنين ، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس بخاف على أحد من العالمين ، فهؤلآء الكرام قد رجّحوا علم السنة على غيرها من العلوم ، وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم ، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية ، ويبغيه أصحاب الدراية ، شهدت بذلك كتبهم وفتاواهم ، ونطقت به زبرهم (١٤) و وصاياهم ، ومن كان يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك ، فعلى الهند وأهلها شكرهم ما دامت الهند وأهلها :

من زَارَ بابَك لـــم تبرحْ جَوارحُـــه
تَـــروي أحاديثَ مـــا أوليتَ من مِنَنِ
فالعين عـــــن قُرَّة و الكَفُّ عن صلـــة
والقلبُ عن جابرٍ والسمعُ عن حَسن(١٥)

---

(١٤) أي : كتبهم .

(١٥) ومن الطريف أن المنن التي ذكرتها هذه الجوارح وأشادت بها ، والأسماء التي أشارت إليها في هذا الصدد ، كلها أسماء رواة الحديث والشيوخ المحدثين ، مثل قرة بن خالد السدوسي ، وصلة بـــن أشـــيم العدوي ، وسيدنا جابر عبد الله رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمهم الله أجمعين ، رجـــال الفكـــر والدعوة : ج/٤ ، ص/٥٥١ .

وقال القنوجي في (أبجد العلوم : ج/٣ ، ص/٢٤٣) : كان بيته في الهند بيت علم الدين ، وهم كانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية ، أصحاب الأعمال الصالحات ، وأرباب الفضائل الباقيات ، لم يعهد مثل عملهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند ، وإن كان بعضهم قد عرف بعض علم المعقول ، وعُدّ على غير بصيرة من الفحول ، ولكن لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها إلا في هذا البيت ، لا يختلف في ذلك مختلف من موافق ولا من مخالف ؛ إلا من أعماه الله عن الإنصاف ، ومسته العصبية والاعتساف ، وأين الثرى من الثريا ؟ والنبيذ من الحميا ؟ والله يختصّ برحمته مَن يشاء .

مـــؤلفـــاتـــــه :

للإمام الدهلوي مؤلفات كثيرة في اللغتين العربية والفارسية نذكر أسماء بعضها حسب حروف المعجم :

(أ)

١- الأربعين (بالعربية) .
٢- الإرشاد إلى مهمات الإسناد (بالعربية) ط.
٣- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (بالفارسية) ط.
٤- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم (بالعربية) ط.
٥- ألطاف القدس في لطائف القدس (بالفارسية) ط.
٦- الإمداد في مآثر الأجداد (بالفارسية) ط.
٧- الانتباه في سلاسل أولياء الله (بالفارسية) ط.
٨- إنسان العين في مشايخ الحرمين (بالفارسية) ط.
٩- الإنصاف في أسباب الخلاف (بالعربية) ط.
١٠- أنفاس العارفين (بالفارسية) ط.

(ب)

١١- البدور البازغة (بالعربية) ط.

١٢- بوارق الولاية (بالفارسية) .

(ت)

١٣- تأويل الأحاديث (بالعربية) ط.

١٤- تحفة الموحدين (بالفارسية) .

١٥- التفهميات الإلهية (بالعربية والفارسية) ط.

(ج)

١٦- الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف (بالفارسية) ط.

(ح)

١٧- حجة الله البالغة (بالفارسية) ط.

١٨- حسن العقيدة (بالعربية) ط.

(خ)

١٩- الخير الكثير (بالعربية) ط.

(د)

٢٠- الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين (بالعربية) ط.

٢١- ديوان الشعر العربي جمعه ولده الشيخ عبد العزيز ورتبه الشيخ رفيع الدين

(ر)

٢٢- الرسائل الثلاث (بالعربية) ط.

٢٣- رسالة في الرد على رسالة الشيخ خواجه خورد عبد الله بن عبد الباقي .

٢٤- رسالة الحكمة (بالفارسية) .

(ز)

٢٥- الزهراوين في تفسير سورة البقرة وآل عمران .

(س)

٢٦- السطعات (بالفارسية) ط.

٢٧- سرور المحزون (بالفارسية) ط.

(ش)

٢٨- شرح تراجم أبواب البخاري (بالعربية) ط.

٢٩- شفاء القلوب (بالفارسية) .

٣٠- شوارق المعرفة (بالفارسية) .

(ع)

٣١- العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية (بالفارسية) .

٣٢- عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد (بالعربية) ط.

(ف)

٣٣- فتح الرحمن في ترجمة القرآن (بالفارسية) .

٣٤- فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير (بالعربية) ط.

٣٥- فتح الودود لمعرفة الجنود (بالعربية) .

٣٦- الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين (بالعربية) ط.

٣٧- الفوز الكبير في أصول التفسير (بالفارسية) ط.

٣٨- فيوض الحرمين (بالعربية) ط.

(ق)

٣٩- قرة العينين في تفضيل الشيخين (بالفارسية) ط.

٤٠- القول الجميل في بيان سواء السبيل (بالفارسية) ط.

(ك)

٤١- كشف الغين عن شرح الرباعيتين (بالفارسية) .

(ل)

٤٢- لمعات (بالفارسية) ط.

(م)

٤٣- المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة (بالفارسية) ط.

٤٤- المقدمة السنية في الانتصار للفرق السنّية (بالعربية) .

٤٥- المقدمة في قوانين الترجمة (بالفارسية) ط.

٤٦- المسوى من أحاديث الموطأ (بالعربية) ط.

٤٧- المصفى (بالفارسية) ط.

٤٨- المكتوب المدني (بالعربية) .

٤٩- مجموعة رسائل في مناقب الإمام البخاري وفضل ابن تيمية (بالفارسية والعربية) .

(ن)

٥٠- النبذة الإبريزية في اللطيفة العزيزية (بالفارسية) .

٥١- النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر (بالعربية) .

(هـ)

٥٢- الهمعات (بالفارسية) ط.

٥٣- هوامع شر حزب البحر (بالفارسية) .

وفـــاتـــه :

قال عبد الحي الحسني : توفي إلى رحمة الله سبحانه ظهيرة يوم السبت سلخ شهر الله المحرم سنة ست وسبعين ومائة وألف بمدينة دلهي ، ودفن في جانب اليسار من (دلي دروازه – باب دلهي) بالحي الذي يسمى (مِهْديان) ، وله اثنان وستون سنة (١٦) .

***

(١٦) انظر : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ج/٦ ، ص/٤٢٨ .

في ذكرى رحيل الطناحي.. آخر عمالقة التحقيق

بقلم : الدكتور محمد علي بلاسي
(أكاديمي – خبير دولي عضو اتحاد الكتاب)

كان أستاذنا الرائد ، العلامة الكبير ، المحقق المدفق ، الأستاذ الدكتور محمود الطناحي – الذي وافاه الأجل المحتوم صبيحة الثلاثاء ٦/ من ذي الحجة ١٤١٩هـ ، الموافق ٢٣ من مارس ١٩٩٩م – كان – عليه رحمه الله – عالماً من العلماء العاملين ، الزهاد الصادقين ، أحب العلم وتقرب إلى الله به ، وأخلص له وأعطاه كل ما يملك – غير قانع بما بذل – ؛ فإن مصيره الخلود في دنيا البشر ، وعند الله الدرجات العلا ؛ جزاء ما قدم للعلم وأضاف للتراث .

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها *** فالذكر للإنسان عمر ثان !

"كان محمود الطناحي – رحمه الله – أحد أعلام اللغة العربية وأعمدتها الثابتة في دنيا الناس ، وكان واحداً من الطبقة العليا من المحقيق الموثوق بعلمهم وعملهم ، وكان أستاذاً في مدرسة الإحياء العربية الإسلامية التي فقدت أخيراً علمها الرئيسيين وشخيها اللذين كانا باقيين : محمود شاكر وعائشة عبد الرحمن – رحمهما الله – .

قدم محمود الطناحي للمكتبة العربية جواهر من مكنون تراثها بعد أن حقق نصوصها ، وخدم أصولها تحقيقاً وخدمة عرفت الناس فضله ، وقدمت إلى سجل الأعلام الخالدين اسمه وجهده" .

بهذه الكلمات نعاه – في جريدة الأهرام – أحد أصدقائه المقربين ..

خلف محققنا الكبير محمود الطناحي – رحمه الله – للمكتبة التراثية مجموعة من التحقيقات الرائعة للكتب التراث ، مثل "طبقات الشافعية لابن السبكي ، والغريبية للهروي ، وكتاب الشعر لأبي علي الفارسي ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (بالاشتراك) وغيرها من أمهات الكتب التراثية .

وله من الكتب التنظيرية في مجال التراث العربي ، تاريخاً وتوثيقاً وتعريفاً ، ما يعد مرجعاً أساسياً معتمداً .

هذا بالإضافة إلى مئات الأبحاث الرصنية المنشورة على صفحات مجموعة من المجلات والجرائد الرائدة : كالعربي الكويتية ، والهلال المصرية ، وجريدة الأهرام القاهرية وغيرها .

حياته العلمية والعملية :

درس – رحمه الله – في الأزهر الشريف – منذ نعومة أظفاره – ، وحصل منه على الشهادة الثانوية الأزهرية ، ثم التحق بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، وفيها تخرج عام ١٩٦٢م ، ومن دار العلوم حصل على الماجستير والدكتوراه .

زوال الطناحي التدريس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وعين خبيراً في معهد المخطوطات العربية ، ثم درس في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وحين عودته منها عين أستاذاً بكلية الدراسات العربية والإسلامية فرع جامعة القاهرة بالفيوم ، ثم استقر به المقام أستاذاً ورئيساً لقسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة حلوان بالقاهرة .

كما اختير خبيراً بمجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

وترك الطناحي – رحمه الله – ما لا يقل عن ثلاثين كتاباً بين تأليف وتحقيق .

مكانته العلمية :

يحدثنا عن ذلك صديقة الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم فيقول : كان – وما أشق "كان" – حيوية زخارة ، وعلماً مشتعلاً ، كأنه يسابق الزمن ، فيملأ ساعاته – ولا نقول أيامه – بالتنقيب والبحث ، والمطالعة والتصنيف ، ولا يكف عن فائدة ، تحثه غيرة على العربية وعلومها ، وعلى تراث السلف ، بعد رحيل محمود شاكر – عُقاب العربية – ، إذ حمل رسالته – وما أشقها – في فهم كنوز التراث ، وكان الملاذ حين تشتجر مذاهب الرأي في قضية لغوية ، أو مخطوطة مجهولة ، فنجد لديه فصل الخطاب ، وكأن هذه الغيرة المشتعلة لم يكن ليتحملها بنيه – وهو وثيق – ؛ فما اشتكى وصبا ، بل كان أسرعنا خطى ، وأعلانا صوتاً ، وأملحنا نكتة أو نادرة .

كان الطناحي ملاذاً لنا في قضايا القراءات القرآنية ، وغرائب الحديث النبوي ، وشواهد اللغة والشعر ، وما كان يخذلنا حين نعوذ به ؛ إذ تسعده ذاكرة لا تكاد تخرم شيئاً ، وشيوخه وشيوخنا كانوا يلجأون إليه في علوم ينفرد بها !

لكننا لم نفد الإفادة المرجوة من محمود الطناحي ؛ إنه مدرسة قائمة بذاتها في تحقيق التراث ، ولم نفد منه عضواً بمجمع اللغة العربية ، وكثيرون من أعضائه ليسوا في قامته ..

وعن مناقبه ؛ حدث ولا حرج : فقد جمع بين همة الشباب ورجاحة الشيوخ ، إذا رأيته حسبته في الأربعينات من عمره – بينما رحمه الله كان قد شارف على الستين – ، وإذا تحدثت إليه – ولم تره من قبل – ، غاب عنك أنه العلم الهمام ؛ من فرط تواضعه !

فقد كان – رحمه الله – نسيج وحده في الأدب والتواضع والوفاء .

وكانت ميزته الملفتة للأنظار : إكباره لإخوانه العلماء ، وحدبه على طلاب العلم ومحبي العربية .

التفيت فقيدنا الكبر – لأول مرة – منذ عدة أشهر ، في ندوة عالمية حول : تحقيق المخطوطات ونشر التراث ، في إحدى جامعات جنوب مصر ، وكنت الأزهري الوحيد المدعو فيها !

وبعد أن ألقيت ورقة عملي ؛ التقط الكلمة معلقاً ومجاملاً ومشجعاً – وكأنه يحسن بدنوا أجله – ، قائلاً : الحمد لله أن هناك مؤتمرات وندوات تعرفنا ببعضنا وتجمع شتاتنا .. فالشكر كل الشكر للقائمين على هذه الندوة أن وجهوا الدعوة إلى فلان – (وأسماني) – ؛ فقد خلته عند ما قرأت بحثه أنه من الكهول ؛ لبراعة تناوله لموضوعه ، ولا يصدر هذا إلا عن متمرس ، ولو أنني اطلعت له على كتب في مجال التحقيق لأيقنت ! وأكد – رحمه الله – النظرة إلى مبتسماً – ابتسامته العريضة المعهودة – قائلاً : كيف تكون في مصر ولم ترك ؟!!

هكذا كان يحنو على طلابه ومريديه أمثالي ، وهذا ما يجب أن يكون : التشجيع والحنو على المهتمين بالتراث ، في زمن قل فيه هؤلاء بل ندروا ندوة الكبريت الأحمر !!

تعلم ما الرزية فقد مال ولا شـــاة تموت ولا بعير
ولـــكن الرزية فقد حر يـــموت بموته بشر كثير

رحم الله أستاذنا الطناحي ، وعوضنا عنه خيراً ، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء ، وكتب أعماله في ميزان الحسنات وسجل الخالدين .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

*****

من التاريخ والأدب :

هل الرواية العربية ما بعد الحداثية عكس حقيقي للحياة العربية المعاصرة ؟

(الحلقة الأخيرة)

بقلم : الدكتور مجيب الرحمان الندوي
أستاذ مشارك بمركز الدراسات العربية والافريقية - جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، الهند

لبنـــان :

منذ الخمسينيات من القرن الماضي برز في لبنان روائيون قدموا لنا أعمالا بارعة صورت القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمع العربي اللبناني ومن أبرزهم الأستاذ سهيل إدريس (١٩٢٤-..) وليلى البعلبكي (١٩٣٦-...)، وليلى عسيران (١٩٣٦-..) وإميلي نصر الله (١٩٣٨-...)، وحنان الشيخ (١٩٥٤-...)، وإلياس خوري (١٩٤٨)، ورشيد الضعيف (١٩٤٥) وغيرهم وأعمال جميع هولاء تصور جوانب الحياة العربية اللبنانية وما تواجهها من مشكلات وقضايا أبرزها فتنه الطائفية ونشوب الحرب الأهلية من جراءها التي كادت تهدم كيان المجتمع العربي اللبناني. أما روايات إميلي نصر الله فإنها " تتميز بخصيصتين أساسيتين: أولاهما اهتمامها الكبير بقضية النزوح من القرية اللبنانية إلى أمريكا وكندا مثلا (الإقلاع عكس الزمن مثلا) أو حتى إلى بيروت أو المدينة (طيور أيلول مثلا) أما الخصيصة الثانية فهي أنها تكتب كإنسانة وليس كإمرأة تهيمن عليها قضية المرأة، ولعل سر بروز هذه الحقيقة هو التزامها بالصدق والموضوعية في تصوير المواقف المختلفة" (٧) ، وتعد رواية "الإقلاع عكس الزمن" من خير ما كتب في أدب الاغتراب و تجربة الهجرة في اللغة العربية (٨) ومن خلال هذا تقدم لنا الكاتبة صور الحياة الريفية في لبنان وفي مدينة بيروت والحياة الغربية في كندا وماذا يشعر به عربي جاء من الريف في " المتروبوليس" من الوحدة والغربة وعدم التكيف بالمدنية وحنينه إلى قريته وما تتميز به من الانسجام والمودة وما تسوده من قيم وتقاليد ومثل ضاربة

جذورها في أعماق التاريخ. وأما حنان الشيخ التي تعتبر أشهر وأنجح الروائيات العربيات في لبنان فإنها في روايتها المتميزة " حكاية زهرة" (١٩٨٠) تصور لنا المظالم التي تتعرض لها الفتاة في المجتمع اللبناني بشكل خاص المجتمعات الشرقية بشكل عام من خلال رصدها لحياة زهرة وسفر حياتها المليء بالمعاناة والعذاب بفعل الوضع المتدني للمرأة العربية.

سوريـــا :

وفي سوريا يقوم الروائيون السوريون مثل نظرائهم اللبنانيين بتقديم روايات تصور الواقع الاجتماعي العربي في سوريا بشتى مظاهره وجوانبه، ومنذ الستينات أظهر الروائيون قدرة بارعة على إنتاج روايات بارعة وناضجة ومنهم شكيب الجابري برواياته التي أهمها " وداعا يا افاميا" التي قامت بتصوير مواقف وأوضاع في مدينة أفاميا التاريخية، وفي الوقت ذاته أصدر الروائي العظيم حنا مينا روايات واقعية وصور الأوضاع السياسية والاجتماعية كما أظهر اهتماما بمبادئ الاشتراكية والقومية العربية التي نادت بالإصلاح الزراعي وتحديد الملكية، تصور رواية حنا مينا الأولى " المصابيح الزرق" (١٩٥٤) قضايا عامة الشعب في اللاذقية من الحرفيين والعمال ومعاناتهم في الحصول على الحوائج الضرورية وتعرضهم للاستغلال على أيدي أصحاب النفوذ، ويمثل الاتجاه ذاته أديب نحوي (١٩٢٦) بروايته " متى يعود المطر(١٩٦٠) يستمر حنا مينا في تقديم روايات اجتماعية واقعية تصور الأوضاع السياسية السائدة فروايته " جوميط (١٩٦٥) تصور انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١، و"عرس فلسطين" (١٩٦٩) تشرح أسباب هزيمة عام ١٩٦٧.

يزخر المشهد الروائي في سوريا بعدد كبير من الروائيين في الستينات والسبعينات وما بعدها وأبرزهم " عبد السلام العجيلي (١٩٦٨)، و كوليت خوري (١٩٣٣)، و وليد مدفعي (١٩٣٢)، و جورج سالم (١٩٣٣-١٧٦) وفارس زرزور (١٩٣٠) وحليم بركات (١٩٣٦) وهاني الراهب (١٩٣٩) وفاضل السباعي(١٩٢٠) وصدقي اسماعيل (١٩٢٤-١٩٧٢)، وتكاد

الرواية السورية العربية ترتبط بإسم واحد وهو حنا مينا الذي تحلل رواياته – بحكم التزامه بالمبدأ الاشتراكي– الواقع الاجتماعي من منظور يركز على مظاهر التخلف وفساد الحكام والرأساليين وإنه استطاع أن يبرز من خلال رواياته تاريخ سوريا الاجتماعي والسياسي والشخصية السورية والبيئة السورية على نحو لم يستطع أحد غيره أن يجاريه.

فلسطين والأردن :

رغم تأخر ظهور الرواية في فلسطين والأردن أحرزت الرواية الفلسطينية تقدما كبيرا، فالحركة الروائية نشيطة في الأردن وفلسطين وبرز فيهما عدد لابأس به من الروائيين الذين فرضوا أعمالهم على انتباه القراء وهم سحر خليفة ويحيى يخلف وتوفيق فياض وليانة بدر وغسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا في فلسطين وأما في الأردن فهم غالب هلسا وإبراهيم نصر الله ومؤنس الرزاز وتيسير سبول.

تتميز الرواية الفلسطينية من روايات الاقطار العربية الأخرى على أنها تركز على تصوير الواقع الفلسطيني ومقاومة الفلسطينين ضد الاحتلال الإسرائيلي الغاشم ومدى معاناة الفلسطينين في ظل الاحتلال الإسرائيلي وفي الخارج وعلى رأس هولاء غسان كنفاني بأربع رواياته المتميزة " رجال في الشمس" (١٩٦٣)، و" ماتبقى لكم" (١٩٦٦)، و " أم سعد" (١٩٦٩)، و"عائد إلى حيفا" (١٩٧٠)، ولكن أعمال جبرا إبراهيم جبرا تختلف عن الروائيين الفلسطينين الآخرين لأنها في أغلبها تهتم بالقضايا الفكرية والثقافية التي تشغل بال المثقفين العرب كما هو الحال في روايته " السفينة" (١٩٦٩)، التي رسخت مكانته الروائية على المستويين العربي والعالمي، وفي روايته " البحث عن وليد مسعود" (١٩٧٨) قدم جبرا شخصية الفلسطيني المثقف المنفي على نحو لم يتسن لروائي غيره كما نجح إميل حبيبي في تصوير معاناة الفلسطينيين الذين بقوا في الأرض المحتلة أي في اسرائيل بعد قيامها في عام ١٩٤٨.

وأما في العراق فلم تبرز الرواية العربية كما برز وارزدهر الشعر فيها،

على أن الروائيين من أمثال فواد التكرلي وغائب طعمة فرمان وغانم الدباغ عبدارحمن مجيد الربيعي وإسماعيل فهد إسماعيل قدموا أعمالا روائية ممتازة صورت المجتمع العربي العراقي.

الجزيرة العربية :

وفي الجزيرة العربية (السعودية واليمن وباقي دول الخليج) ثمة روائيون يخدمون الكلمة العربية من أمثال عبد العزيز مشري، وإسماعيل فهد إسماعيل، وليلى عثمان، و وليد الرجيب، وزيد مطيع دماج، ومحمد أحمد عبد المولى، وعلي أبوالريش، وفوزية رشيد، وإبراهيم خليفة، وأمين صالح و غازي عبد الرحمان القصيبي وآخرون الذي قدموا أعمالا روائية ممتازة صورا فيها المجتمعات التي يعيشون فيها، وفي هذه العجالة لا يمكن مناقشة أعمالهم جميعا إلا أن الروائي الذي فرض نفسه على اهتمام القراء في العالم العربي وغيره بفضل إنتاجاته البارعة فهو عبد الرحمان منيف (١٩٣٣-٢٠٠٤)، برز منيف كأهم الروائيين العرب في القرن العشرين وقام في رواياته على نحو بارع ومتميز بعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العربي والتحولات الثقافية العنيفة التي شهدتها المجتمعات العربية خاصة دول الخليج العربي الغنية بالنفط، وقد ساعده في ذلك خبرته في مجال البترول إذ عمل في الكثير من الشركات النفطية بصفة خبيرا للنفط، ولكن الأهم من ذلك أنه عايش هذه التجربة وأحس إحساسا عميقا بحجم التغيرات التي أحدثتها الثورة النفطية في صميم وبنية المجتمعات العربية، وخماسيته "مدن الملح" من أعظم ما ألف في اللغة العربية من ناحية الحجم والرواية تحكي قصة اكتشاف النفط في السعودية وما صاحب ذلك من النقلات الثقافية والاجتماعية الهائلة وله أيضا رواية شرق المتوسط التي تبين قصة المخابرات العربية وتعذيب السجون. عبد الرحمان منيف كاتب ملتزم " تدور رواياته كلها تقريبا (التي تقارب خمسة عشر) قضية الحرية حرية المواطن العربي ضد القهر السياسي والسجن والتعذيب" (٩) .

السودان :

منذ الستينات برز على الساحة الروائية أعلام روائيون من أمثال ابراهيم الحردلو وأبوبكر خال ومكي محمد علي وغيرهم الذي قدموا للقراء العرب روايات وقصص عكست ما يدور في المجتمع السوداني من أحداث وما فيه من قضايا ومشكلات سياسية واجتماعية وغيرها، ولكن الروائي الذي قدم للعالم اجمل رواية عربية في القرن العشرين والذي لقب بعبقري الرواية العربية فهو الطيب صالح (١٩٢٩-٢٠٠٩) صاحب روايات " موسم الهجرة إلى الشمال" (١٩٦٦)، و " عرس الزين" (١٩٦٧)، وبندر شاه المكونة من جزئين " ضوء البيت" و "مريود" (١٩٧١).

ولعل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" أكثر الروايات العربية شهرة وقبولا حتى عُدت الرواية أفضل رواية عربية على الإطلاق ومن بين أفضل مأة رواية عالمية في القرن العشرين لما تحتويه الرواية من مضامين ثرية وعميقة تخص وضع الإنسان في الكون والمجابهة الحضارية بين الشرق والغرب والاستعمار ومدى تأثيره الخطير في الشعوب المستعمرة وعلاقة التابع بالمتبوع والمستعمَر بالمستعمِر وقضية الهجرة والاغتراب وقضية الأصالة والهوية وفساد الحكام في السودان بعد جلاء المستعمرين وغيرها الكثير من القضايا والموضوعات التي تحير القارئ كثافتها وقد قدمها الكاتب بلغة شاعرة راقية وأسلوب ساحر أخاذ وفي بناء متراكب ومتلاحم ومعقد مع الاستخدام المتميز للزمن وتيار الوعي والعنف والجنس كما صور القرية السودانية الريفية بكل ما لها وما عليها كأنك تشم رائحة البصل والشطة والفول السوداني وأنت تقرأ هذه الرواية. إن رواية موسم الهجرة إلى الشمال من الروايات التي يضعها النقاد في زمرة أدب ما بعد الاستعمار وكان لها تأثير هائل في تطوير المناهج النقدية مابعد الاستعمارية كما اعترف ادورد سعيد بتأثره بالرواية في تأليفه كتاب " الاستشراق" وفي تأطير هذا الكتاب القيم.

شمال افريقيا :

ظهرت الرواية العربية متأخرة نسبيا في أقطار المغرب العربي ولكنها لما برزت على الساحة ظهرت ناضجة على أيدي الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة وواسيني الأعرج في الجزائر وعبد الكريم غلاب مبارك ربيع وعبدالله العروي ومحمد برادة ومحمد زفزاف واحمد المديني والحمداني حميد في المغرب، ومحمود المسعودي والبشير خريف ومحمد صالح الجابري وعزالدين المدني في تونس، وأحمد الفقيه وإبراهيم الكوني في ليبيا.

"ارتبطت الرواية المغربية في مجملها ارتباطا وثيقا، في مبدأ الأمر، بحركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، وبنقد سلبيات فترة ما بعد الاستعمار شأنها في ذلك شأن الروياة في الجزائر، وإلى حد ما شأن الرواية في تونس" (١٠) ، ومن أهم الأعمال التي تمثل هذا الاتجاه روايتا عبد الكريم غلاب (١٩١٩) دفنا الماضي (١٩٦٦) والمعلم علي (١٩٧١) وتستمر روايات المغرب في تصوير حركة المقاومة ضد المستعمر الفرنسي في اعمال مبارك ربيع (١٩٣٥) " الريح الشتوية" (١٩٧٧) التي تعرض لنا صورة شاملة لحركة النضال المغربي ضد المستعمر الفرنسي ومدى تأثير هذا الاستعمار القاسي على حياة المواطنين.

وفي الجزائر قام الروائي عبد الحميد بن هدوقة بترسيخ فن الرواية بعدد من أعماله التي أهمها " ريح الجنوب" (١٩٧٩) التي تعتبر أول رواية جزائرية ناضجة. ثم ظهرت روايات الطاهر وطار أهمها " زلزال" (١٩٧٤) التي تصور المجتمع الجزائري بعد الاستقلال وإنجازات الحكومة الثورية والتغييرات التي أحدثتها في الاتجاهات والقيم الاجتماعية (١١) ، وعاد هدوقة ليصدر روايات بارعة أبرزها " الجازية والدراويش" (١٩٨٣)، التي تكشف عن واقع البلاد الذي يسود فيه الفساد بعد الاستقلال وتقدم حلم التغير، وفي رواية " اللاز" يصور الكاتب الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي ويرصد الأحداث والتطورات وما صحبها من صراع بعد الاستقلال.

وفي تونس قام الروائيون التونسيون من أمثال محمود المسعدي والبشير بن

سلامة (١٩٣١) ومحمد عروسي المطوي (١٩٢٠) ومحمد صالح الجابري (١٩٤٠)، ومحمد الهادي بن صالح (١٩٤٥) ومحسن بن الضياف (١٩٣٢)، بإنتاج روايات قيمة صورت المجتمع التونسي وعبرت عن قضاياه الاجتماعية والسياسية، ولعل رواية " التحدي" (١٩١٧٢) أهم الروايات التونسية وأنضجها التي تصور مقاومة الشعب التونسي للمستعمر الفرنسي.

وأما في ليبيا فبرز عدد كبير من الروائيين أشهرهم أحمد إبراهيم الفقيه (١٩٤٢) وخليفة مصطفى (١٩٤٤)، وإبراهيم الكوني (١٩٤٨). وفي رواياته " حقول الرماد (١٩٨٥)، و ثلاثية " سأهبك مدينة أخرى" و "هذه تخوم مملكتي" و "نفق تضيئه امرأة" يصور لنا الكاتب أحمد إبراهيم الفقيه وضع المرأة الليبية تصويرا أمينا وبارعا ويركز الأضواء عليها مما تساعدنا على الاطلاع على وضع المرأة الليبية في منتصف القرن العشرين وبعده، تتميز روايات الفقيه بكونها قريبة المأخذ وسهلة التناول وإثارة القضايا على نحو مقنع، وبالعكس فإن روايات الكوني تؤرخ للصحراء الليبية وبيئتها وتقدم لنا صورة حية وثرية عن كل ما يتصل بالبيئة الصحراوية الليبية مستخدما الرموز والأساطير والآثار وخاصة في روايته "نزيف الحجر" التي عدت من أجمل الروايات العربية وأعمقها دلالة وكثافة في شمال افريقيا والتي ساعدت على ترسيخ مكانته كروائي كبير في العصر الحاضر.

خلاصـــة :

لقد أنجزت الرواية العربية كصنف أدبي ما لم تستطع الفنون الأدبية الأخرى إنجازه في العصر الحاضر، وفعلا أثبتت الرواية العربية جدارتها لتكون ديوان العرب في العصر الحاضر، فصارت كالمرآة التي انعكس عليها كل التحولات الاجتماعية التي مرت بها وتمر بها المجتمعات العربية خلال قرن من الزمان، لقد واكبت الرواية العربية الحياة العربية التي اتسمت بتحولات وتطورات ونقلات اجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية خطيرة في القرن العشرن وعبرت عن أزمات الإنسان العربي المعاصر وقضاياه ومشكلاته وتطلعاته وآماله

وآلامه كما واكبت معظم التيارات والاتجاهات بدء من الرومانسية إلى الواقعية بشتى أنواعها والحداثة ومابعد الحداثة وما شاكلها من الاتجاهات، لم تتخلف الرواية العربية قط من مواكبة المسيرة الأدبية العالمية، وإن الثورة الكبيرة التي تشاهدها المجتمعات العربية المصري والتونسي والليبي اليوم سوف يتم تسجيلها والتعبير عنها من قبل الروائيين والقصاصين عن قريب إن شاء الله وسوف تضطلع الرواية العربية بمهمتها كما قامت بها في الماضي.

***

(٧-٨) الدكتور حمدي السكوت – الرواية العربية ببلوجرافيا ومدخل نقدي ، الجزء الأول : ص/١١٥.

(٩) المصدر السابق : ص/١٧٣ .

(١٠)المصدر السابق : ص/٢١١ .

(١١) M.M. Badawi: A Short history of Modern Arabic Literature, p.232

مراجع البحث :

١- د. حمدي السكوت، الرواية العربية ببلوجرافيا ومدخل نقدي ١٨٦٥-١٩٩٥، المجلد الأول، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ٢٠٠٠

٢- د. حمدي السكوت، نجيب محفوظ ببلوجرافيا تحريبية وسيرة حياة ومدخل نقدي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، سلسلة نجيب محفوظ، القاهرة، ٢٠٠٧

٣- الدكتور طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٤ .

٤- M.M. Badawi: A Short history of Modern Arabic Literature, Clarendon Press, Oxford, 1993

٥- M.M.Badawi: Cambridge History of Arabic Literature (edited), Cambridge University Press, 1992

٦- د. محمد شبل الكومي: النظريات الأدبية، دراسة في الأدب المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.

٧- ديفيد كارتر: النظرية الأدبية، ترجمة دكتور باسل المسالمة، دار التكوين للترجمة والنشر، دمشق، ٢٠١٠.

٨- بيتر تشايلدز: الحداثة، ترجمة دكتور باسل المسالمة، الطبعة الخامسة، دار التكوين للترجمة والنشر، دمشق، ٢٠١٠.

٩- عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، الطبعة الخامسة، دار المعرفي القاهرة، عام الطباعة غير مذكور.

١٠- د. محبة حاج معتوق: اثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية،الطبعة الاولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.

١١- بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية .

دراسات وأبحاث

بعض الإشارات البيئية في القرآن الكريم ودلالتها العلمية

بقلم : الأستاذ محامد حسين الندوي (نيو دلهي)

الحمد لله الذي جعل القرآن تبياناً لكل شيء ومليئاً بالحكمة والعلم والمعرفة وصلى الله على من كان القرآن خلقه ومنهجه وإمامه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد !

إن القرآن الكريم هو كتاب هداية وإرشاد للعالمين وعبرة وذكرى للعاقلين ، فقد ادخره الله تبارك وتعالى بآلائه الشاملة وبأساسيات العلوم المتكاملة ، فما ترك شيئاً من أمور الدين إلا وقد بين أحكامه ولا من نظام الحياة إلا قد ذكر أساسه ، ثم دعا من عباده العامة والخاصة إلى تدبر آياته وفهم معانيه ، فقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١) و ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) و ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٣) فهذا كتاب الله تعالى يتميز بأنه يخاطب العقل والروح معاً ، يتحدث عن الحقائق العلمية ثم يبين الهدف منها ، وهو المعرفة بالله – سبحانه وتعالى – والإيمان به ، فمن هذه الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن هي ما يتعلق بالبيئة ، وسأستعرض في هذا البحث بعض إشاراتها من خلال آيه

(١) سورة بني إسرائيل ، الآية/٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية/ ١٣٨ .

(٣) سورة محمد ، الآية/ ٢٤ .

ودلالالتها العلمية استعراضاً سريعاً ، وأترك أمرها للناس ليتدبروا بعقولهم في قدرة الله تعالى وسرصنعه ، ثم يحصلوا على الزاد لحل قضاياهم .

ما هي البيئة :

من آلاء الله العظيمة – تبارك وتعالى – على الكائنات الأرضية جمعاء توافر البيئة الصالحة التي يرجع إليها فضل قيام النظام المتوازن للمحيط الذي تعتمد عليه الكائنات الحية في حياتها ، ونعني بالبيئة جميع الظروف والأطر والظواهر التي تعيش فيها الكائنات الحية وغيرها من جماد ونبات بحيث تستمد كل منها الزاد وتؤدي فيه النشاط .

وقد يحظى الكائن البشري بين هذه الكائنات الأرضية كأهم الأجزاء للنظام البيئ بمكانة خاصة بحيث يتعامل منذ وجوده مع مكونات البيئة الأخرى كأنها مسخرة له ، هذا .. وقد ظهرت مشكلة البيئة كأهم القضايا التي يواجهها الإنسان في العصر الحديث ، فهذه المشكلة لا تهدد حياة الإنسان الموجود فحسب ، بل تهدد حياة أجيال الكائنات القادمة والنباتات الموجودة كلها ، والإنسان المعاصر الذي يتمتع بكثير من الاكتشافات المذهلة والاختراعات الباهرة والإنتاجات البديعة لا يستطيع الخلاص منها ، وذلك لأنه أعرض عن أمر الله الخالق الحقيقي لهذا الكون ، واعتمد على النظام الوصفي ، ونحن عند ما نراجع كتاب الله (القرآن الكريم) نجد فيه كثيراً من التوجيهات النافعة والآيات المتعددة التي تقدم صورة أدق وأعجز ، ونظرة أعمق وأوسع في حل قضاياه .

إذاً لينبغي لنا أولاً أن نلاحظ ما للقرآن الكريم من نظرية نحو البيئة كي يسهل الحصول على الغاية المنشودة .

النظرة القرآنية نحو البيئة :

كان الناس قبل الإسلام لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون ويعتبرونه شيئاً مهملاً بلا فائدة وبلا معنى ، فعند ما نزل القرآن اتضح لهم أنه آية من آيات

الله وأنه خلق من عدم كما يقول القرآن : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤) وتبين لهم أن السماوات والأرض كانتا في بداية أمرهما شيئاً واحداً ثم انفصلتا ، فقال : ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (٥) إلا أن هذا الخلق لم يكن بالصدفة بل بعلم الخالق وقدرته وإرادته ، تم خلقه في أجل مسمى ، يقول القرآن مخاطباً الكافرين : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (٦) وعند ما يتحدث القرآن عن هذا الكون يشهد بأن كل الوجود من هذا الكون مسلم ، أسلم لإرادة الله بشكل مطلق بحيث إنه دائماً يتوجه إلى الله تعالى بمشاعر العبودية ، فيقول : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٧) ويقول : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٨) .

فكل الوجود الذي نسميه الطيعبة أو الظروف الطبيعة هو انعكاس

---

(٤) سورة الأنعام ، الآية/ ١٠١ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية/ ٣٠ ، الرتق : الضم والالتحام ؛ هذه النظرية التي قدمها القرآن قبل أربعة عشر قرناً أدركها اليوم العلم الحديث بعد جهود استغرقت أجيالاً ، فيؤيدها ويقرر لها بقوله : "إن الكون كان شيئاً واحداً من غاز ثم انقسم إلى سدائم" .

(٦) سورة حم السجدة ، الآية/ ٩ – ١١ .

(٧) سورة آلي عمران ، الآية/ ٨٣ .

(٨) سورة بني إسرائيل ، الآية/٤٤ .

القدرة الله وعمله وجماله وجلاله ، كأنه جنود تسمع وتطيع وتنفذ واجباتها لفطرية من التوافق والتوازن مع عناصرها الأخرى .

الإشارات البيئية في القرآن :

قد حفل القرآن الكريم بمجموعة كبيرة من الإشارات العلمية الدقيقة حول النظم البيئة قبل قرون ، والعلم الحديث لم يصل إلى بعضها إلا مؤخراً ، وسأذكر – إن شاء الله – فيما يلي بعض قبسات من عناصرها بشكل عام .

الأرض في المنظور القرآني :

عند الحديث عن الأرض كأنها يوجه القرآن النظر إلى العالم كله برؤية كلية ويصور الأرض كأنها منـــزل ، فيقول : ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩) ويقول : ﴿هُوَ الَّذي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً﴾ (١٠) ويقول : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَاداً﴾ (١١) يتضح من هذه الآيات الكريمة أن الأرض التي هي جزء من هذا الكون تم تمهيدها للإنسان وأقيمت وفق نظام معين ، وزودت بالماء لتنمو الكائنات الحية وتعيش .

التربة في المنظور القرآني :

إن المقصود بالتربة هو الطبقة العليا من القشرة الأرضية أي الأتربة التي تتميز بصفات خاصة بتعامل العوامل المؤثرة فيها وفقاً للظروف الطبيعية ، وهذه التربة هي خليط من حبيبات مختلفة من الرمل (Sand) ، والغرين (Silt) ، والطين (Clay) ، وللتربة أهمية كبرى في تنمية النباتات الخضراء حيث تزودها بمختلف احتياجاتها من المواد الأساسية لبناء أجسامها الحيوية السلمية ، وبالتالي هي عاملة أساسية لحياة الإنسان والحيوانات الأرضية الأخرى ، إذ معظم

(٩) سورة البقرة ، الآية/ ٢٢ .
(١٠) سورة الرعد ، الآية/ ٣ .
(١١) سورة النبا ، الآية/ ٦ .

الأغذية هم يحصلون عليها بفضلها ، لقد أشار القرآن الكريم إلى أن البلد الطيب ، هو الذي أنعم الله عليه بالأرض الطيبة يخرج نباته سليماً جميلاً حسناً ، وأما البلد الخبيث (الأرض الخبيثة) هو الذي تغيرت تربته فخبثت وردؤت فلا خير فيه ، وهو لا يخرج نباته إلا نكدا ، فقال : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾ (١٢) .

الماء في المنظور القرآني :

الماء هو نعمة في حد ذاته وأهم ضرورات الإنسان الحياتية منذ أن كان طيناً ، وعنصر أساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات الحية والنباتات الخضرة ، كما أنه سبب لظهور كثير من النعم وقد تحدث القرآن الكريم عن المياه ودورها في حياة الكائنات الحية بإسهاب مما يزيد عن أربعين مرة ، واعتبرها عنصراً هاماً بين عناصر النظام البيئ ، حيث جعلها أساساً ومصدراً للحياة والاقتصاد ، فقال : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٣) وقال : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (١٤) وقال مشيراً إلى فوائده : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٥) ، وقال في موضع آخر ﴿وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٦) .

(١٢) سورة الأعراف ، الآية/ ٥٧ .
(١٣) سورة الأنبياء ، الآية/ ٣٠ .
(١٤) سورة ق ، الآية/ ٩ .
(١٥) سورة البقرة ، الآية/ ١٤٦ .
(١٦) سورة النحل ، الآية/ ١٤ .

فمعظم أسباب الحياة من الغذاء والاقتصاد والكسب والانتقال والرفاهية .. لا تتوفر إلا بفضله ، كما أن العمليات الكيماوية اللازمة للحياة وللنمو لا تتم إلا به .

الجبال في المنظور القرآني :

إن الجبال لها دور أساسي في تثبيت الأرض وإبقائها على التوازن كما هي تلعب دوراً هاماً في تخزين الماء العذب لأهلها ، لقد كشف الباحثون أن الجبال تمثل مثبتات للأرض خلال دورانها السريع الذي يتجازو الـــ ١٦٠٠ كيلو متراً في ساعة ، فلولا هذه الجبال الضخمة الصلبة التي تغوص بعيداً في طبقات الأرض والتي تعمل بمثابة موازنات لهذه الكرة الأرضية الدوارة لاختل توازن الأرض ، وهنا قد سبق القرآن الكريم على التحقيق الجديد في بيان هذه الحقائق في العديد من آياته ، منها : ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (١٧) و ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ (١٨) و ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ (١٩) وكذلك الجبال هي العامل الرئيسي في تخزين وتصفية المياه العذبة وتثبيت التربة ، ولولا الجبال لذهبت أكثر المياه المنـــزلة من السماء إلى البحر دون أن تتخزن في بطونها وجذورها وعلى رؤوسها وثناياها في صورة الثلج ، ولانجرفت معها التربة التي هي أساس هام لحياة النباتات والكائنات الأخرى ، فهنا تتراءى أمامنا عظمة القرآن حين يتحدث بدقة من أول أمره عن دور الجبال في إمطار السماء وتصفية الماء ليصبح ماء فراتاً ، يقول : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾ (٢٠) ويقول : ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ .

---

(١٧) سورة ق ، الآية/٧ .

(١٨) سورة النبأ ، الآية/٦ ، ٧ .

(١٩) سوررة النازعات ، الآية/ ٣٣ .

(٢٠) سورة المرسلات، الآية/٢٧ .

إذا الجبال والرواسي الشامخات هي من صنائع الله البديعة – تبارك وتعالى – صنعها لتؤدي واجباتها الهامة في صلاح النظام البيئي .

النباتات في المنظور القرآني :

تعتبر النباتات الخضراء من أهم العناصر البيئية ، فهي مصدر رئيسي لحياة جميع الكائنات الحية بمختلف أنواعها ، إذ أن الله تبارك وتعالى قد أودع في هذه النباتات من قدرات أنيقة لتنقية الهواء من المواد السامة ، فهي تقوم باستهلاك كميات كبيرة من أكسيد الكربون خلال عملية التركيب الضوئي ، وبنتيجة هذه العملية ينطلق الأوكسيجن في الهواء الذي يستفيد منه الإنسان والحيوانات الأخرى المتنفسة في عمليتهم التنفسية ، وقد وجد الإنسان بعد اكتشافات علمية جديدة أنه من اللازم في النظام البيئي أن يدوم التوازن بين ما تأخذه الكائنات المتنفسه وبين ما تطلقه النباتات من الأوكسيجن ، وكذلك توازن العكس (أي التوازن بين ما تطلقه الكائنات الحية المتنفسة من غاز الكربون وبين ما تأخذه النباتات من هذا الغاز ، وسبحان الله ! هذا التوازن الدقيق قد تحدث عنه القرآن في عصر لم يكن هنالك أي علم عن توازن البيئة ، فيقول : ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (٢١) ويقول : ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٢٢) .

الرياح في المنظور القرآني :

الهواء هي من نعم الله الخالق العزيز غير المنظورة ، جعله ملكاً عاماً للجميع ، عند ما تسخن حرارة الشمس الهواء يقل ثقله ، فيرتفع في الجو ليأخذ الهواء البارد الأكثر ثقلاً مكانه ، ثم تنشأ كرد فعل لهذه العملية الانتقالية الرياح

---

(٢١) سورة الحجر ، الآية/١٩ .

(٢٢) سورة النحل ، الآية/١٣ .

السريعة التي لها دور هام في النظام البيئي ، حيث إنها تحمل بخارات الماء من المحيطات وتنقلها إلى مسافات بعيدة داخل القارات إلى أن تتكاثف وتتحول إلى الأمطار التي تمطرها السماء من السحاب بفضل قوتها التصريفية نفسها ، وهي تلعب أيضاً الدور الأكبر في عملية تلقيح الأزهار وتكاثرها ، هذا ما أشار إليه القرآن الكريم قبل قرون ، وما أدركه العلم الجديد إلا بعد جهود استغرقت أجيالاً ، فأشار إليه المولى تعالى بقوله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢٣) وبقوله : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤) فلو لا الرياح لما أمطرت السماء ولأصبحت الأرض جرداء خالية من أثر الحياة بالإطلاق .

الغلاف الجوي في المنظور القرآني :

الغلاف الجوي الأرضي درع واق يحيط بالأرض من جميع أجزائها ، وهو مع الشمس والماء والنبات والتراب أحد العوامل الرئيسية التي جعلت الحياة ممكنة على سطح كوكب الأرض دون بقية الكواكب التي تتبع النظام الشمسي ، وقد رمز القرآن الكريم إلى الغلاف الجوي في العديد من الآي ، وعبره بـ ﴿السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (٢٥) و ﴿سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ (٢٦) و ﴿سَبْعاً شِدَاداً﴾ (٢٧) و ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾ (٢٨) و ﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (٢٩) و ﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (٣٠) .

أما تركيب الغلاف الجوي مجموعاً فقد وصفه المولى تعالى في صورة دقيقة معجزة بالدخان ، فجاء في سورة حم السيجدة : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (٣١) ، وكلمة دخان تطلق على مجموعة غازات مختلفة ،

(٢٣) سورة الحجر ، الآية/٢٢ .
(٢٤) سورة البقرة ، الآية/١٦٤ .
(٢٥) سورة الطور ، الآية/٥ .
(٢٦) سورة الملك ، الآية/٥ .
(٢٧) سورة النبا ، الآية/ ١٣ .
(٢٨) سورة الملك ، الآية/ ٣ .
(٢٩) سورة الطارق ، الآية/ ١١ .
(٣٠) سورة الذاريات ، الآية/ ٧ .
(٣١) سورة حم السجدة الآية/١١ .

وهنا من الواضح لدى العلماء الفلكيين أن الغلاف الجوي هو مؤلف من غازات متعددة ، ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الطبقات الغازية المختلفة للغلاف الجوي تحيط بالأرض مع جميع أجزائها من دون شقوق أو فروق ، ولذلك نحن نلاحظ أن القرآن الكريم استرعى انتباه الإنسان إلى هذا الخلق المعجز من الرحمن قائلاً في سورة الملك : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٣٣) وفي سورة ق : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٣٤) .

هذه بعض إشارات القرآن العلمية حول النظام البيئي سردناها لكي نطلع على الكنوز العلمية وحقائقها التي أفادنا بها كتاب الله الكريم قبل القرون بدون علم كان قبل ، وبدون أي وسيلة اكتشافية جاءت بعد ، وذلك لأنه هو من لدن حكيم عليم ، ولكي ندرك مطلب القرآن وعظمة الخالق الذي قال عنه : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٣٥) فالمؤمن يحب الله ويرضى به رباً أن يكون في شوق إلى معرفة المزيد عن هذا الإله الصانع العظيم .

التوجيهات القرآنية حول النظام البيئي :

لقد خلق الله الخالق – عز وجل – كل شيء في هذه الدنيا في منظومة متكاملة وفي مقدار معين وفي ميزان قويم وفي ترتيب صحيح وحساب كامل لكي يتلاءم مع مكانه وزمانه ، وبحيث يتوافق هذا التوازن المتكامل مع جميع المخلوقات مما يحقق النفع كاملاً ولا يضر غيره شيئاً ، كما بين المولى – عز وجل – ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٣٦) و ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (٣٧) ، وهنا قد يمكن أن نلاحظ هذا التقدير والميزان الدقيق بحيث كأنه هو من الخصائص المتميزة اللازمة ، ومن الظواهر العامة في خلق الله –

(٣٢) سورة حم السجدة ، الآية/ ١١ .
(٣٣) سورة الملك ، الآية/ ٣ .
(٣٤) سورة ق ، الآية/ ٦ .
(٣٥) سورة الحشر ، الآية/ ٢١ .
(٣٦) سورة القمر ، الآية/ ٤٩ .
(٣٧) سورة الفرقان ، الآية/ ٢ .

عز وجل – لجميع مخلوقاته ، كما بين المولى – سبحانه وتعالى – : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٣٨) ﴿أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (٣٩) ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٤٠) ﴿السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٤١) فتدل هذه الآيات كلها دلالة واضحة على أن الأرض والسماوات بما فيهما من مكونات بيئية خلقها الله – عز وجل – في منظومة متكاملة ، وفي ميزان دقيق وفي مقدار محدد ونسب ثابتة ، وفعلا كل مواردهما البيئية الحية كالحيوان والنبات ، وغير الحية كالهواء والماء والتربة ، تخضع جميعاً لهذا القانون من التوازن الدقيق المحكم مع بعضها البعض ، فأي اعتداء على عنصر من عناصرها هو اعتداء على الجميع ، لأنه سيؤدي لا محالة إلى اضطراب في وظائف هذه العناصر كلها مما يؤدي إلى اختلال العلاقات التفاعلية التبادلية فيما بينهم التي تسبب الكثير يقيناً من الأخطار التي تهدد المحتوى الحيوي بما فيه الإنسان .

تعالوا معي نتأمل هذا بتحليل أمر واقع ، وهو : أن نسبة الأوكسجين في الغلاف الجوي تحد عادة بنسبة ٢١ في المئة ، فلو كان الأوكسجين بنسبة ٥٠ في المئة فماذا يحدث ؟ إن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال مع أول شرارة ، ولو نقصت هذه النسبة من ٢١ في المئة لماتت الكائنات الحية اختناقاً .

ونسبة غاز الكربون في الغلاف الجوي هي أقل من ١٣ ، في المئة ، ولو زادت هذه النسبة لتسمم البشر والكائنات الحية ونتيجة لذلك ما توا جميعاً ، ولو نقصت لماتت النباتات وتوقفت الحياة ، لذلك هنا توازن دقيق من عند الله في الغلاف الجوي .

ثم إن إشعاعات الشمس هي بمقدار ، فلو امسكت نصف الشمس إشعاعها الحالي لتجمدت المخلوقات الحية ، ولو أنها زادته بمقدار النصف

(٣٨) سورة الرعد ، الآية/ ٨ .
(٣٩) سورة الحجر ، الآية/ ١٩ .
(٤٠) سورة الحجر ، الآية/ ٢١ .
(٤١) سورة الرحمن ، الآية/ ٧ .

لأصبحت المخلوقات كلها رمادا ، فضياء الشمس أيضا هو بمقدار ، وله صلة وثيقة بحياة الكائنات الأرضية التي تتطلب قدراً معيناً من الإضاءة لابد لها من توافره ، فهنا يتضح لنا أن جميع الكائنات الحية وغير الحية تخضع لتوازن دقيق وتوافق محكم .

فالقرآن حقيقة يتمتع بنظرة أعمق وأوسع للبيئة ، حيث طالب الإنسان أيضاً بمقتضى الصفات المميزة التي كرمه الله بها من صلاحية الفكر والشعور والعقل وبمقتضى الأمانة التي حملها (أعنى خلافة الله في الأرض) بأن يتعامل مع المكونات البيئية كأمين صادق مخلص ، فيحسن في الاستخدام ولا يسيئ في التصرف ، حتى يستمر الوجود ، فقال : ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤٢) .

ولكن الله تبارك وتعالى يعلم أن هذا الإنسان الظلوم الجهول لا يستطيع التعامل مع الطبيعة بالتوازن والتوافق ، فهو لا محالة بصفته الظلوم والجهول يرهق بممارساته الطائشة قدرة النظم البيئية المتزنة ويتدخل في قوانينها المنظومة ، فيخل بتوازنها واتزانها مما يؤدي إلى ظهور المشكلات والأزمات التي سوف يواجهها يقيناً في شكل الاحتباس الحراري (Globarwarming) ، وفي صورة اختلال غازات الصوبة الخضراء (Gass Greenhouse) وفساد المناخ وانقراض الوسائل الأساسية الحيوية ، ولن تتوقف هذه المشكلات والأزمات حتى يتوقف الإنسان عن هذا الإخلال والإفساد ، وكأن ذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٣) .

وأخيراً ، اكتفي بهذه الكلمات على أن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض ، فتعلموا من مأدبته بما استطعتم ، ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤) .

(٤٢) سورة الأعراف ، الآية/ ٥٨ .
(٤٣) سورة الروم ، الآية/ ٤١ .
(٤٤) سورة البقرة ، الآية/ ١٩٥ .

الائتمان في الاقتصاد الإسلامي

إعداد : الدكتور أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي
(الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية شيتا غونغ "بنغله ديش")

الائتمان بمفهوم الاقتصاد الوضعي :

يتوقف المفهوم الاقتصادي للائتمان ضيقاً واتساعاً على شمول وعمق وجهة النظر إليه ، فيرى البعض أن الائتمان بمعناه الواسع هو : (مبادلة قيم حاضرة بقيم آجله) (١) أو هو عبارة عن : (الوعد بدفع مبلغ من النقود) (٢) بينما يرى آخرون أن الائتمان عبارة عن : نقل السلع والخدمات والنقود من استعمالها الحاضر إلى استعمال آجل (٣) ، ويقرر غيرهم أن الائتمان في الحقيقة ، انتقال أو إضافة قوة شرائية من جهة الدائن إلى جهة المدين (٤) .

ويلمس بعض الباحثين الركن المعنوي الهام الذي يقوم عليه الائتمان ، فيقرر أن أصل الاصطلاح الإنجليزي (CRIDIT) أو الفرنسي (CREDIT) مشتق من أصل لاتيني معناه الثقة والإيمان ، وأن الائتمان في المعاملات المالية والاقتصادية : - إنما هو الثقة التي يودعها الدائن (المقرض) في المدين (المقترض) عند منحه قرضاً (٥) .

---

(١) النقد والائتمان في الرأسمالية والاشتراكية ، د. زكريا أحمد نصر ، مطبعة المدني بمصر ، ط ١٩٦٥م ص/٤٥ . (٢) مقدمة في النقود والبنوك د. محمد زكي شافعي ، دار النهضة العربية بمصر ، ط ، ١٩٦٤م ص/ ٢٦ . (٣) النقود والائتمان د. محمد فهمي لميطه ومحمد حمزة عليش مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٩٤٩م ص/١٤ . (٤) النقود في النشاط الاقتصادي د. يوسف عبد الوهاب جامعة الرياض ، ط ١٩٩٠م ص/ ٢٤ . (٥) الموسوعة الأمريكية ج/٨ ، ص/١٦٦ (Encyclopedia Americana) .

الائتمان ومشتقاته من الكتاب والسنة :

ورد الائتمان في القرآن والسنة المطهرة معنى ومضموناً ، مناظراً للضمان ، كما وردت مشتقاته اللغوية في آيات كريمة وأحاديث نبويه ، بما يوضح دلالته اللفظية ومحتواه الاصطلاحي فنذكر منها الأمثلة الآتية .

ائتمن واؤتمن :

قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (٦) المدين مؤتمن على الدين والدائن مؤتمن على الرهن ، فكلاهما مؤتمن ، وكلاهما مدعو لأداء ما اؤتمن عليه باسم تقوى الله ربه (٧) وجاء اللفظ في الحديث النبوي بمعنى نقيض الخيانة كما يستدل مما يلي :

روي عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" (٨) كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم .... ثم أن بعضكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون" (٩) "ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتنه عليها" "... وائتمنوا فأدو ..." (١٠) .

مؤتمن :

في الحديث النبوي : (الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن) يعني : أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم) ..... المستشار مؤتمن) (١١) .

---

(٦) سورة البقرة الآية/٢٨٣ .

(٧) في ظلال القرآن الشهيد سيد قطب دار الشروق ط - ١٩٧٧ ج/ ٢ ص/٣٣٧ .

(٨) أخرجه الترمذي وأبو داؤد والدارمي وأحمد .

(٩) أخرجه الترمذي وأبو داؤد والبخاري ومسلم والنسائي .

(١٠) أخرجه أحمد . (١١) أخرجه أبو داؤد والترمذي وأحمد .

أمن ويأمن :

قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (١٢) يعني إن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق وثقة فليؤد له ما عليه ائتمن .

وفي الحديث الشريف : (المؤمن من أمنه الناس) (١٣) وقالوا : ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (١٤) ، وقرئ أيضاً : (مالك لا تأمنا ...) بين الإدغام والإظهار ، وقال الأخفش : والإدغام أحسن (١٥) ، روى عن الأعمش : (لاتيمنا) (١٦) .

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١٧) وفي الحديث النبوي الشريف : .... والمؤتمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .... (١٨) .

أمنتُكم :

قال تعالى : ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ (١٩) ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ (٢٠) .

---

(١٢) سورة البقرة الآية/٢٨٣ .

(١٣) أخرجه ابن حبان .

(١٤) سورة يوسف الآية/١١ .

(١٥) لسان العرب المرجع السابق ج/٣ ص/٢١ .

(١٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المرجع السابق ج/٤ ص/٢٣٦٧ .

(١٧) سورة الأعراف الآية/ ٩٧ – ٩٨ .

(١٨) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد .

(١٩) سورة يوسف الآية/ ٢٨٣ .

(٢٠) سورة الملك الآيتان/ ١٦ – ١٧ .

أمنوا – يأمن :

قال تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢١) وفي الحديث النبوي : لايؤمن من الذي لا يأمن جاره بوائقه (٢٢) .

يأمنوا :

قال تعالى : ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ (٢٣) وجاء في الحديث النبوي : (أيامنني الله على أهل الأرض ولا يأمنوني) (٢٤) .

آمن :

قال تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (٢٥) ، وفي الحديث النبوي في يوم فتح مكة : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن) (٢٦) .

أمنة :

وردت بمعنى الأمن مصدراً كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً﴾ (٢٧) والأمنة أيضاً جمع أمين "وهو الحافظ" .

أمن – الأمن :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ (٢٨) ، وفي الحديث النبوي الشريف : (فقلت هي حرم الله وأمنه وفيها بيته ...) (٢٩) اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان (٣٠) .

---

(٢١) سورة الأعراف الآية/٩٩ .

(٢٢) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢٣) سورة النساء الآية/٩١ .

(٢٤) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢٥) سورة الأحقاف الآية/١٧ .

(٢٦) أخرجه أبو داؤد .

(٢٧) سورة آل عمران الآية/١٥٤ .

(٢٨) سورة البقرة الآية/١٢٥ .

(٢٩) أخرجه الإمام ابن مالك في المؤطأ .

(٣٠) أخرجه الترمذي والدارمي .

أمين :

وردت بمعنى مأمون ومؤتمن وثقة ، كما في قوله تعالى : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٣١) وفي الحديث النبوي الشريف : (إن الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر له به ، أحد المتصدقين) .

آمن :

ترد بمعنى : جعله يأمن ويطمئن كما في قوله تعالى : ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٣٢) كما ترد بمعنى وثق كما في قوله تعالى ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ (٣٣) كما ترد بمعنى أمن الكذب وصدق بالقلب فهو مؤمن إيماناً ، كما في قوله تعالى : ﴿قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (٣٤) .

المؤمن :

قال تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (٣٥) وفي الحديث النبوي الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (... والمؤمن من أمنه اللناس على دمائهم وأموالهم) (٣٦) .

الإيمان :

وترد بمعنى التصديق بالقلب والعمل بالجوارح وما بقوله تعالى : ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ (٣٧) .

---

(٣١) سورة الأعراف الآية/٦٨ . (٣٢) سورة قريش الآية/٤ .

(٣٣) سورة يوسف الآية/٦٤ .

(٣٤) سورة الحجرات الآية/١٤ .

(٣٥) سورة يوسف الآية/١٧ .

(٣٦) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد .

(٣٧) سورة التوبة الآية/ ٢٣ .

وفي الحديث النبوي الشريف : (الإيمان : ما وقر في قلب وصدقة العمل ...) (٣٨) .

(مادة الأمن من الإيمان ....) (٣٩) .

فإن المادة المكونة من الأحرف الثلاثة : الألف ، والميم والنون هي الأصل الذي يشتق من الإيمان ، وهو التصديق الجازم بوحدانية الله سبحانه وتعالى (٤٠) .

موضع الائتمان من التصور الإسلامي للحياة :

جاء الإسلام بمنهج كامل للحياة ، يحقق صلاح هذه الأرض وراحة البشرية وطمأنينة الإنسان ، ورفعته ، وطهارته وبركته ، فلا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالتزام هذا المنهج الذي رسمه الله لحياة البشر ، والأخذ بمنهج الله ليس نافلة ، ولا تطوعاً ، ولا موضع اختيار ، بل هو الإيمان والعقيدة التي تنهض بالإنسان إلى المقام الذي هيأه الله له ، مقام الخلافة في الأرض الذي لا يناله بحق إلا من عمل وتحرك في نطاق ما يرتضيه الله ، مؤمنا به مستقيماً على امره مقراً لشريعته في الأرض (٤١) كما في قول تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (٤٢) .

ويتأكد الارتباط بين القيم الإيمانية والسعادة الإنسانية بالرغد المادي في غير موضع من كتاب الله ، وفيما ذكره من عظات وعبر وقصص وأمثال من التاريخ الإنساني **وحياة الأمم** السابقة .

فقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ

---

(٣٨) رواه ابن ماجة في مسنده .

(٣٩) العقود الشرعية الحاكمة للمعاملات المالية المعاصرة ، د. عيسى عبده ، دار الاعتصام بمصر ، ط ١٩٧٧م ، ص/٩

(٤٠) التعامل التجارب في ميزان الشريعة د. يوسف قاسم دار نهضة العربية مصر ، ط ١٩٨٠م ص/٢١٥ – ٢١٦ .

(٤١) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ، دار الشروق بمصر ط ١٩٧٧م ، ج/ ١ ص/ ١٥ – ١٦ .

(٤٢) سورة الأحزاب الآية/٣٦ .

رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (٤٣) .

وكما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٤٤) وكما قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٤٥) .

فشريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون (٤٦) وانتهاجها هو مبني عقيد الإيمان التي تنبثق عنها مثل الناس وقيمهم الإخلاقية (٤٧) ، فالشريعة متكاملة مع التصور الإسلامي للوجود كله وللحياة الإسلامية بأسرها ، ولهذا التصور أثره الإيجابي على إرساء دعائم السلوك الاجتماعي عامة والضوابط الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي والسلوك الائتماني خاصة (٤٨) متمثلة في : تقوى الضمير ، ونظافة الشعور ، وسمو الاهتمامات ، ورفعة الخلق ، واستقامة السلوك ، وبذلك يتضح التكامل والتناسق في سنن الله كلها ، بين ما نسمية القوانين الطبيعية وما نسمية القيم الإيمانية ، فكلها أطراف من سنة الله الشاملة في هذا الوجود .

---

(٤٣)سورة المائدة الآية/٦٦ .

(٤٤) سورة الأعراف الآية/٩٦ .

(٤٥) سورة النحل الآية/١١٢ .

(٤٦) في ظلال القرآن المرجع السابق ، ج/ ١ ، ص/١٧ وأيضاً المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي د. أحمد النجار دار الفكر بيروت ط ١٩٧٤م ، ص/٢٨ – ٤٣ .

(٤٧) اقتصادنا محمد باقر صدر ، دار الفكر بيروت ، ط ١٩٧٣م ص/٢٦٦ – ٢٧٧ .

(٤٨) الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية د. محمود محمد بابلي ، دار الكتاب بيروت ، ط ١٩٧٥م ص/١٣٧ – ١٥٧ .

ملامح الائتمان الإسلامي في الوديعة :

الوديعة لفظ يطلق على الإيداع وعلى العين المودعة ، ويعرف الإيداع بأنه (التوكيل بحفظ مال) ، (٤٩) كما تعرف الوديعة بمعنى الإيداع بأنها استحفاظ من المودع وائتمان له وتعرف الوديعة أيضاً بمعنى العين المودعة بأنها "ما يترك عند الأمين" ويقال : استودعته وديعة : أي استحفظته إياها (٥٠) .

ولقد أضافت قيم الإسلام الأخلاقية عمقاً وأصالة في مفهوم الأمانة في النفوس وربطتها بالإيمان بالله – عز وجل – ومراقبته في السر والعلن ، فكان أداء الأمانة مما أمر به الله – سبحانه وتعالى – في قوله : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (٥١) .

فكل ما أئتمن عليه الإنسان أمانة عليه ردها إلى صاحبها ، ومن الأمانات الودائع وهي واجبة الرد إلا إذا هلكت بلا تقصير ولا تعد من المؤتمن ، فالإجماع الإضمان عليه (٥٢) كما أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأداء الأمانة في كثير من الأحاديث المروية عنه – كما روي عنه أنه قال : "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" (٥٣) .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – في مشهد إعلامي كبير وهو خطبة حجة الوداع" ... فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ...."(٥٤) .

وفيما عدا ما ذكره فقهاء المسلمين من أحكام خلط الوديعة بغيرها من

---

(٤٩) مواهب الجليل لشرح مختصر محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطاب ج/٥ ، ص/١٥٠ .

(٥٠) لسان العرب المرجع السابق ج/ ٨ ، ص/٢٨٦ .

(٥١) سورة البقرة الآية/٣٧ .

(٥٢) أحكام القرآن للجساس المطبعة البهية بمصر ، ط ١٣٤٧هـ ج/ ٢ ، ص/٢٠٧ .

(٥٣) أخرجه الترمذي وأبو داؤد والدارمي وأحمد بن حنبل .

(٥٤) سيرة النبي

أموال المستودع ، والإنفاق عليها ، وكرائها ، مما لا نرى مجالاً للاستطراد فيه ، فلا يجوز للمؤتمن التعدي باستعمال الوديعة أو الانتفاع بها انتفاعاً مباشراً أو مقصوداً ، كما كره الفقهاء الاتجار في الوديعة مالا كانت أو عرضاً ، فإذا كانت الوديعة عرضاً وباعها المودع فمالكها مخير في أخذ ثمن البيع الذي بيعت به ، أو في أخذ القيمة يوم العدي إذا فاتت السلعة ، أما إذا كانت قائمة فإنه يخير في أخذها أو الثمن الذي بيعت به (٥٥) .

الاجتهاد الفقهي في الوديعة :

يستصحب الاجتهاد الفقهي ، إلى جانب هذه الصورة المألوفة لنظام الإيداع ، صورة أخرى للإيداع النقدي أكثر نفعاً لمجتمع المسلمين مارسها أحد فضلاء صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الزبير بن العوام – رضي الله عنه – (٥٦) .

فقد كان الزبير – رضي الله عنه – رجلاً مؤتمناً يقصده الناس لحفظ ودائعهم ، وكان من خشيته على أموال الناس أن لا يقبلها مجرداً أمانات تتعرض للضيعة ، إذ أن الأمين لا يلتزم برد الأمانة ولا يضمنها إذا هلكت لديه دون تعد منه أو تقصير ، فكان الزبير يقبلها كقروض مضمونة في ذمته يقول عبد الله بن الزبير فيما يرويه عن أبيه :

"إن الرجل كان يأتيه بالمال ليستودعه إياه ، فيقول الزبير : لا ولكن هو سلف ، إني أخشى عليه الضيعة ..." وتجمعت لدي الزبير من هذا النمط من الإبداع كثير من الأموال ، فلم يكن يحتفظ بها مكتزة لديه ، بل كان يوجهها للاستثمار بما يفيد مجتمع المسلمين ، استناداً إلى حقه في التصرف في المال المسلم إليه باعتباره قرضاً وليس مجرد أمانة للحفظ ، فقد كان للزبير –

(٥٥) فقه المعاملات على مذهب الإمام ملك ، الأستاذ حسن كامل الملطاوي دار الاعتصام بمصر ، ط ١٣٩٧هـ، ص/١٥٢ – ١٥٤ .

(٥٦) الطبقات الكبرى محمد بن سعد دار الاتحاد العربي مصر ، ١٩٧٦م ج/٣ ، ص/٧٠ – ٨٠ .

رضي الله عنه – بمصر خطط ، وبالاسكندرية خطط ، وبالكوفة خطط ، وبالبصرة دور كما كانت له غلات تقدم عليه من أعراض بالمدينة (٥٧) .

ويذكر البعض أن هذه الخطط إنما كانت فروع مصرف للزبير ، مركزه المدينة بينما يذكر آخرون أن هذه الخطط كانت تنظيماً مصرفياً (٥٨) .

ومن استعراض الآراء الفقهية لأحكام الوديعة النقدية ، نجد أن اجتهادات فقهاء المسلمين شملت إلى جانب مسائل خلط مال الوديعة بغيره ، وضمانها ومسئولية الأمين وما إليها ، أمراً بالغ الأهمية من الناحية الائتمانية ، وهو السادس بالوديعة ، فمنهم من يرى جواز تصرف المودع لديه في الوديعة إذا كانت من المثليات كالنقود بشرط الضمان أي : تحمل مسئولية رد مثلها إلى صاحبها (٥٩) .

ولقد أصبح استخدام الودائع لدي الجهاز المصرفي وأوعية تجميع المدخرات ذا أهمية بالغة في قدرة هذه الأجهزة على منح الائتمان وإيجاد وسائل الدفع وبدائل النقود وإنشاء النقود الكتابية والنقود الائتمانية التي يتطلبها النشاط الاقتصادي (٦٠) .

أما الأموال المودعة بغرض الاستثمار ، فيعمل فيها المصرف على أساس المضاربة وفق ما يتفق عليه من أصحاب الودائع الذين يفوضون البنك صراحة في استثمارها ، وطالما توافرت شروط المضاربة بالنسبة لهذا النوع من الودائع فإنها تأخذ حكمه الشرعي بالقياس (٦١) .

(٥٧) الطبقات الكبرى ، المرجع السابق ، ج/٣ – ص/ ٧٦ .

(٥٨) تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق وشريعة الإسلامية – د. سامي حمود ، دار الاتحاد العربي مصر ، ط ١٩٧٦م ، ص/٤٩ – ٥٠ .

(٥٩) فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك ، المرجع السابق ، ص/١٥٣ .

(٦٠) العقود الشرعية الحاكمة للمعاملات المالية المعاصرة – المرجع السابق – ص/ ٢٠ .

(٦١) نحو اقتصاد إسلامي ، د. محمد شوقي الفنجري دار الزائدي بالطائف – لا ، ت ، ص/١٢٩ – ١٣٣ .

ملامح الائتمان الإسلامي في الإقراض والتداين :

معنى القرض :

والقرض معناه لغة : القطع ، وهو مشتق من قرض أي : قطع ، ويرد معناه الاءتماني لما تعطيه لإنسان من مالك ، وكأنه شيء قد قرض كما سمي تمليك الشيء على أن يرد مثله إقراضاً وفي الحديث الشريف : لا جرح إلا على رجل اقترض عرض رجل مسلم (٦٢) .

ويرى جمهور الفقهاء أن القرض جائز ، بشرط ألا يتغير بزيادة أو نقص ، ومنهم من يرى أنه سنة مؤكدة ، ومنهم من يوجبه للمضطر ، ويحرمه على من يستعين به على معصية ، ويحرم اشتراط الزيادة في القرض فهي ربا ، وأما الزيادة غير المشروطة فهي على الرأي الراجح – من حسن القضاء (٦٣) ، واشتراط الأجل يفسد المقرض فللمقرض أن يطالب المقترض بالوفاء عند ما يتراءى له ، بينما يسن الوفاء بالأجل في الدين .

معنى الدين :

يعرف الدين بأنه كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً والآخر في الذمة نسئية (أجل) .

وأخرج البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : اشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله – تعالى – أحله وأذن فيه (٦٤) ثم قرأ الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (٦٥) .

(٦٢) أخرجه ابن ماجه . (٦٣) الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصار القرطبي دار الشاب بمصر ، ط ١٣٤٧هـ ، ج/٢/ ص/ ١٠٤٩ .

(٦٤) روح المعاني الألوسي دار الشباب بمصر ، ط ١٩٧٧م ، ج/ ٣ ص/٥٥ .

(٦٥) سورة البقرة الآية/٢٨٢ .

الائتمان المزكي ومفهوم القرض الحسن :

وهو على معان نذكر أبرزها في الآتية :

١– الإنفاق في سبيل الله :

جاء ذكر القرض الحسن في كتاب الله تعالى في غير آية بمعنى الأنفاق في سبيل كالقرض في ذمة المقترض وائتمان بين العبد وربه فاقراض الله تعالى ، مثل لتقديم العمل العاجل وطلباً للثواب الآجل (٦٦) وشبه الله الغني الحمد عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض ، كما شبه في آية اخرى أخذ الجنة بالبيع والشراء كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾ (٦٧) والقرض الحسن دعوة إلى أعمال البر والإنفاق في سبيل الخير بألطف الكلام وأبلغه ، فالقرض الحسن لا يذهب بالإنفاق بل هو مضمون عن الله يضاعفة أضعافاً كثيرة في الدنيا مالاً وبركة وسعادة وراحة ، ويضاعفه في الآخرة نعيماً ومتاعاً ورضاً وقربى من الله .

وسمي هذا الإنفاق قرضاً لأنه أخرج لاسترداد البدل الذي يضاعفه الله تعالى أضعافاً كثيرة ، لذلك يجب أن يكون المتصدق بالقرض الحسن صادق النية ، طيب النفس يبتغي به وجه الله دون الرياء والسمعة ، وأن يكون من مال حلال جيد فلا يقصد إلى الردئ فيخرجه (٦٨) لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (٦٩) .

٢– التوسعة على المسلم والتفريج عنه :

إن ثواب منح القرض عظيم لأن فيه توسعة على المسلم وتفريجاً عنه ،

(٦٦) روح المعاني المرجع السابق ج/ ٢ ، ص/١٢٣ .

(٦٧) سورة التوبة الآية/١١١ .

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المرجع السابق ج/٧ ، ص/٦٤١٢ .

(٦٩) سورة البقرة الآية/٢٦٧

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها والقرض لثمانية عشر ، فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل عنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة (٧٠) .

كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الحث على منح القرض : ما من مسلم يقرض قرضاً مرة إلا كان كصدقتها مرتين (٧١) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال : من منح منيحة لبن أو ورق أو هدي زقاقاً كان له مثل عتق رقبة (٧٢) .

٣- السماحة وحسن التقاضي وإمهال المعسر والوضع عنه :

ومن آداب المعاملات الائتمانية في الإسلام حسن التقاضي ، أي السماحة في طلب الحق ، واستعمال معالي الأخلاق ، وعدم التضييق على المدين في المطالبة ، فقد ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : رحم الله عبداً ، سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى (٧٣) .

ومن حسن التقاضي أيضا إمهال المدين المعسر إلى وقت يساره دون تقاض أي زيادة في الدين نظير الأجل ، بل التجاوز كذلك عن بعض الدين ، أو وضعه كله من كاهل المدين تخفيفاً عنه وإحساناً إليه وكذلك أفضل من الإمهال والإنظار ثواباً عند الله كما يتضح من قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) .

(٧٠) أخرجه ابن ماجة في سننه والبيهقي .

(٧١) أخرجه ابن ماجة وابن حبان والبيهقي .

(٧٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان .

(٧٣) أخرجه البخاري وابن ماجة .

(٧٤) سورة البقرة الآية/ ٢٨٠ .

وقد تضمنت السنة النبوية الكثير في إمهال المعسر والوضع عنه ، نكتفي عنه ، نكتفي بالإشارة إلى بعضها فيما يلي ، فقد روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (إن رجلاً لم يعمل خيراً قط ، وكان يداين الناس ، فيقول لرسوله خذ ما تيسر ، واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا ، فلما هلك قال الله له : هل عملت خيرا قط ؟ قال : لا ، إلا أنه كان لي غلام ، وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضي قلت له : خذ ما تيسر واترك ما عسر ، وتجاوز ، لعل الله يتجاوز عنا ، قال الله تعالى : قد تجاوزت عنك) (٧٥) .

الائتمان من بيت مال المسلمين :

يسن لولي الأمر أن يخصص جانباً من المال العام لأقراض المسلمين سواء كان هذا الإقراض لحاجات اجتماعية كالزواج والمرض والجهاد والسفر ، أو للاستثمار والتنمية في التجارة أو الزراعة وغيرها .

ولقد أفاض الفقهاء في استحقاق الأغنياء من المجاهدين في سبيل الله وابن السبيل الذين غابت عنهم أموالهم ، وانقطعت بهم الأسباب عن بلوغ مستقراهم وأموالهم ، وذلك من مال الزكاة .

في حين يرى بعض الفقهاء أنه لا يجوز لغني أن يأخذ من الزكاة ما يستعين به على الجهاد ، لغيره ، وإنما يجوز ذلك للفقير ، أما الغني فيستقرض ، فإذا بلغ بلده وأدرك ماله أدى ما عليه من ماله (٧٦) .

ولا يقتصر الإقراض من المال العام في رأي البعض على ذوي الحاجات ، بل أيضاً للاستثمار والتجارة ، فقد أخرج الإمام مالك – رحمه الله تعالى – في المؤطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن

(٧٥) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأيضاً فتح الباري في شرح الإمام البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية بالقاهرة مصر – لا ، ت ، ج/ ٤/٢٠٧ – ٢٠٩ .

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المرجع السابق ج/٤ ، ص/ ٣٠٢ .

الخطاب في جيش إلى العراق ، فلما فقلا مرا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة فرحب بهما وسهل ثم قال : لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت ، ثم قال : بلى ، ها هنا مال من مال الله ، أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين ، فأسلفكما ، فتتابعان به متاعاً من متاع العراق ، تبيعانه بالمدينة ، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ، ويكون لكما الربح ، فقالا : وددنا ، ففعل ، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال ، فلما قد ما باع فأربحا ، فلما دفع ذلك إلى عمر ، قال : أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما ؟ قالا : لا ، فقال : عمر بن الخطاب ابنا أمير المؤمنين ، فأسلفكما ، أديا المال وربحه ، فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله ، فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا لو نقص المال أو هلك لضمناه فقال عمر : أدياه فسكت عبد الله ، وراجعه عبيد الله فقال رجل من جلساء عمر : لو جعلته قرضاً ، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر نصف ربح لمال (٧٧) .

الاختتام :

في الحقيقة أن الائتمان الإسلامي يقوم على مفاهيم اعتقادية ودوافع نفسية ومبادي أخلاقية ونظم اجتماعية وسياسية تحدد مباديه العامة وكلياته الجامعية هو عرفته المجتمعات البشرية منذ حضارتها الأولى وأخذت صوره وأساليبه في التطور بتطور هذه المجتمعات واصبطغت المعاملات الائتمانية خاصة بفلسفاتها الاجتماعية وتصوراتها العقدية ، فازدادت أهمية مسألة الائتمان الإسلامي ، وهو يستمد مقوماته من كتاب الله والسنن القولية والفعلية والتقريرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(٧٧) جامع الأصول في أحاديث الرسول الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن العسير الجزري ١٩٦٩م ج/١٠ ، ص/٢٩٤ – ٢٩٦ .

*****

صور وأوضاع

مكيالان لمعالجة الأمور
بسبب الاضطراب في العالم

بقلم : محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يعيش المسلمون في مختلف بقاع العالم،وتختلف ثقافتهم ولغاتهم في القارات الثلاث خاصة آسيا وإفريقيا وأوربا،ويشكلون في بعض الأماكن أغلبية، وفي أخرى أقلية، ويسهمون في تطوير أوطانهم، ويستعدون للتضحية في سبيل الدفاع عن أوطانهم، وعدم تقصيرهم فيه،والإسهام في تطويرها ورفع مستواها.

وقد كان دورهم في الحربين الكونيتين دوراً ملحوظاً، بل كانوا مقدمين في التضحية بحياتهم، وقد استخدمتهم القوى الكبرى في عهد الاستعمار كالوقود في الحروب الطاحنة بينها.

وقد نقل الحكام الغربيون في عهد الاستعمار من بلدانهم المستعمرة عدداً من السكان، وفيهم المسلمون، إلى بلدانهم للخدمة والعمل، ويوجد المسلمون بنسبة ملحوظة في الدول الأوربية، وانتشر الإسلام بتواجدهم فيها،وتصاعد عددهم بدخول عدد ملحوظ من السكان في الإسلام؛ سواء بدراسة الإسلام،أو تأثراً بخلق المسلم، واحترز المسلمون دائماً عن أي عمل أو نشاط ضد مصلحة البلاد،أو يعرض سلامة البلاد للخطر.

رغم هذا السلوك الخلقي نشأت في مختلف بقاع العالم حركات تعادي الإسلام والمسلمين، وحركات متشددة دينية وقومية وعنصرية، وخاصة من أصحاب ما يوصف باليمين، وفيهم الصليبيون المتشددون،والقوميون المتطرفون

الذين يشنون الهجوم على المساجد والمؤسسات العلمية،والخدمات الإنسانية للمسلمين، وكان الحكم الذي أصدرته المحكمة النرويجية أخيراً على بريوك "Breivik" الذي قتل ٧٧ شخصاً، دليلاً على وجود حركات المتشددين القوميين والمعادين للإسلام في الدول الأوربية، وقد اعترف الشاب النرويجي أن عمله الذي أدين به كان في خدمة بلاده، وتفيد التقارير الصحفية بأن هناك رجالاً وحركات متعددة تسعى وتخطط في محاربة المسلمين والتهجم على الإسلام، ويساعد هذا الاتجاه صدورُ كتب في مختلف الجهات ضد الإسلام والمسلمين، والدعاية المكثفة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين، وقد أصبح الهجوم على المساجد والمراكز الإسلامية أمراً عادياً بالإضافة إلى إجراءات بعض الحكام لفرض الحظر على الرموز الإسلامية.

وبتأثير هذه الإجراءات والدعاية ضد الإسلام نشأت حركات معادية للإسلام والمسلمين في بلدان أخرى،فتقع في مختلف أنحاء العالم حوادث للهجوم على المسلمين، وتتخذ الحكومات إجراءات لتقييد العمل الإسلامي، ويكاد يصبح هذا الاتجاه ظاهرة عامة.

ترفع الدول الأوربية وفيها أمريكا صوتها للدفاع عن الأقليات غير الإسلامية في البلدان الإسلامية، وتفرض الضغط على حكامها لتأمين حقوق الأقليات، وأحياناً تؤيد حركات الانفصال إذا أرادت الانفصال عن الأغلبية المسلمة كما حدث في السودان وإندونيسيا، وفي نفس الوقت تغفل هذه القوى لموقفها المعاند للإسلام والمسلمين عما يعانيه المسلمون في بلدان الأغلبية غير الإسلامية، وتمتنع عن اتخاذ إجراءات لتخفيف معاناتهم .

لقد أصبحت قضية الإرهاب المسألة الأساسية في كل بلد من بلدان العالم بتوجيه أمريكا، وتتخذ إجراءات لمكافحة الإرهاب، وتمنح مكافحة الإرهاب الأولوية في المحادثات سواءً كانت هذه المحادثات حول أمور التنمية

أو الاقتصاد أو التعليم والسياسة،ويوضع موضوع الإرهاب في رأس قائمة جدول الأعمال لكل مؤتمر، كما كان في مؤتمر عدم الانحياز الذي انعقد أخيراً في طهران، وقد أشار إليه رئيس وزراء الهند منموهن سنغ أن قضية مكافحة الإرهاب تكون على رأس قائمة جدول الأعمال، ولكن هذه الإجراءات تستهدف المسلمين وحدهم، بينما تقع حوادث عنف وإرهاب في الدول الأوربية وغير الأوربية حتى في أمريكا نفسها حيث قتل عدة أشخاص في حوادث متفرقة في نيويورك ونيو جرسي سوبر سوق، ولكن لم يوصف هؤلاء المهاجمون بالإرهابيين .

و في الهند تقوم الحركات الموالية للماؤ والنكسليون والقوميون والعنصريون بعمليات العنف،كما يقع في بعض ولايات الهند على أساس العصبية اللسانية والإقليمية،ولكن الحكومة الهندية لا تصف هذه العمليات بعمليات الإرهاب.

ونتيجة لهذا التوجه إلى جانب واحد يعاني المسلمون في سائر أنحاء العالم جواً حاقداً لأن الإعلام العالمي يتهمهم بكل حادث يقع في أي مكان قبل التحقيق، وترتفع الأصابع إلى الشباب المسلمين وخاصة الناشطين للإسلام والمتدينين، ويزج بهم إلى السجون،ويقضون فترات طويلة في الحبس إلى أن تتم تبرئتهم في المحاكم، وتجري المماطلة والإهمال في نقل القضية إلى المحكمة.

وقد أشادت الصحف الهندية الكبرى بصدور حكم المحكمة النرويجية بالسجن المؤبد على الفتى النرويجي بريوك في مدة ١٧ شهراً، وكتبت تقول: " قضى عدد من المتهمين أعمارهم في السجون بدون محاكمة أو تستمر المحاكمة مدة طويلة بدون صدور حكم في قضاياهم،لقد وقعت حوادث العنف من القتل والإحراق في غجرات في الهند في عام ٢٠٠٢م وحدث قتل عدة آلاف، واتهم وزراء الحكومة الإقليمية بالتدبير لهذه الحوادث المنظمة،وأعلن بعض القادة

السياسيين المعروفين أنهم دبروا هذه الحوادث، وأنهم سيعيدونها في أجزاء أخرى، ولم يتخذ إجراء ضدهم وضد المتهمين في القتل الجماعي، وأخيراً بعد المدة الطويلة أصدرت محكمة قضائية فرعية الحكم على وزير سابق ومعه ٣٢ متهماً ومنهم زعيم حركة إرهابية "بجرنغ دل" الحكم بعقوبات قصوى لقتل ٩٧ شخصاً.

إن إغفال القوى العالمية والإعلام معاناة المسلمين وإصرارها على إدانتهم وحدهم،ونقل المسئولية للحوادث الواقعة إليهم أصبح أمراً عالمياً أو جزءاً من السياسة العالمية.

وقد ظهر هذا الانحياز والتحزب جلياً بموقف الدول العالمية والإعلام العالمي إزاء ما يحدث في سوريا وبورما وآسام بشمال شرقي الهند، وقد نقلت وسائل الإعلام أحوال هذه المعاناة، وعرف العالم كله ما يجري في هذه المناطق من قتل وتشريد وإحراق و تدمير للممتلكات، وتحول المسئولية عن هذه المجازر التي تجري، إلى المسلمين أنفسهم رغم ثبوت أن الذين يتعرضون لهذه الاعتداءات هم المسلمون في عدد القتلى، وفي النازحين، فقد وصل عدد الذين شردوا من بيوتهم من المسلمين في آسام وحدها كما تقول وسائل الإعلام والدوائر الرسمية إلى نصف مليون، والذين حرموا من سائر ممتلكاتهم غير راضين أن يعودوا إلى بيوتهم لعدم السلامة، ولا تخجل الدوائر الرسمية في إدانتهم، وتدعي أن الحركات الإسلامية مسئولة عن إحداث هذه الفتنة الطائفية، وبدأت تحقيقات حول هذا الادعاء ضد الحركات الإسلامية في المنطقة، وتتهم كذلك الدول المجاورة بإرسال الإرهابيين، والعذر الآخر الذي تقدمه الجهات الرسمية والإعلام أن الذين يتعرضون لهذا السلوك هم المتوغلون الذين دخلوا المنطقة من البلدان المجاورة بصورة غير شرعية، و يطالب المهاجمون على هؤلاء المظلومين بطردهم من البلاد، وتدعي وسائل الإعلام أن المسألة

مسألة الهجرة غير القانونية، وأن القضية هي قضية عنصرية أو قومية، وعلى هذا الأساس يحرم هؤلاء المنكوبون العطف والمؤاساة سوى الجهات الإسلامية التي تساعدهم بوسائلها المحدودة.

كذلك تستمر مأساة في سوريا حيث تواصل الطغمة الحاكمة بقوة الجيش الموالي لها قمع الحركة الشعبية التي تستمر من أكثر من ثلاثين سنة، فقد دمرت البلاد تحت حكم العسكريين الذين استولوا على الحكم بقوة الجيش وقهره الشعب السوري، ولا تتصدى لهذا النظام الغاشم الدول التي تطالب بحقوق الإنسان وحرية الشعوب والنظام الديموقراطي، وتحترز عن نصرة المظلوم الدول الديموقراطية التي تعلن معارضتها للنظام العسكري، فلا تندد بهذا الظلم، ويستخدم النظام الطائرات المقاتلة والدبابات وسائر الوسائل الحربية بتأييد دولة قوية عالمية، ومما يدعو إلى الاستغراب أن الدول التي تساند هذا النظام تقوم فيها حكومات أتت إلى الحكم بإحداث ثورة شعبية ضد نظام الحكم القائم.

إن معالجة أحداث العنف بمكيالين لا يضع حداً لاستمرار حوادث العنف في العالم كله، ولا يخفى على أحد أن حوادث الإرهاب قد تصاعدت وتكثفت بعد حملة مكافحة الإرهاب العالمية بإيعاز أمريكا في العالم، ولا يستغرب أن تكون وراء أحداث العنف من التفجيرات والقتل الجماعي والإفساد لجو الأمن والسلام، أيد خارجية، أو وكالات المخابرات الأجنبية، وإن انتشار هذه الأحداث يستدعي إجراء تحقيق عالمي منصف لتحديد مسئوليتها الحقيقية، ولا يتحقق ذلك إلا بقيام حكومة عالمية عادلة تقوم بهذا العمل بدون انحياز، وقد أصبح من العادة المتبعة أن كل حادث عنف، يحول إلى المسلمين فور حدوثه.

****

من كنوز القرآن الكريم

(٤٥) مفردات القرآن

للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)

بقلم : محمد فرمان الندوي

أساطير الأولين :

هذه الجملة مركبة من كلمتين : أساطير وأولين ، وأساطير جمع أسطورة ، معناها الحكاية والقصة ، وأولين جمع أول مجرور بالإضافة ، معناها : الماضي ، فمعنى الجملة قصص الأولين ، وحكايات الأولين وأحوال رجال الأمم الماضية ، قال الراغب : ما سطر الأولون في الكتاب من القصص والأحاديث ، وقال الجوهري : الأساطير : الأباطيل ، الترهات ، قال السدي : أساجيع الأولين ، وقال ابن عباس : أحاديث الأولين ، كذب الأولين وباطلهم .

من طبائع الإنسان أنه يولع بتاريخ القصص الماضية وأحوال الأمم السابقة وسير الرجال الماضين ، ويعتبر بها ، وهذا هو السبب فيما إذا درس تاريخ الأمم كثيراً ، عدا كتب العلوم والفنون الأخرى ، وقد ذكر القرآن للاعتبار والاستبصار أحوال الأمم الماضية التاريخية ، وسير رجالها وتفاصيل بقاء البلدان وزوالها ، وإن الكفار والملحدين الذين حرموا صفة البصر والبصيرة ، وفقدوا سمع الاعتبار يقولون : ليس في القرآن سوى القصص القديمة والحكايات الماضية ، ويعتبرون القيامة ، والمعاد وأحوال الآخرة محالاً ، وإن أول سورة من حيث ترتيب القرآن توجد فيها جملة "أساطير الأولين" ، وهي سورة الأنعام ، ورد في سبب نزولها : قال ابن عباس : حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعقبة وعتبة وشيبة أبناء ربيعة وأمية وأبناء أبي بن خلف ، والحارث بن عامر ، واستمعوا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقالوا للنضر ما يقول محمد ، فقال : لا أدري ما يقول ، لكني أراه يحرك شفتيه ، ويتكلم بأساطير الأولين ، كالذي كنت أحدثكم به عن أخبار القرون الأولى ، قال أبو سفيان : إني لا أرى بعض ما يقول حقاً ، فقال أبو جهل : كلا ، فأنزل الله تعالى تلك الآية .

وردت هذه الجملة في تسعة مواضع من القرآن ، لكن لم يأت في معنى سواه ، فضلاً عن أن تكون إشارة إلى ذلك ، ونذكر هنا هذه الآيات كلها : قال الله عز وجل : ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ وقال : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ وقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ وقال : ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ

افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُورا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (سورة الفرقان الآيتان/٤ – ٥) وقال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ مَنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (سورة المؤمنون الآية/٨٢) وقال : ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (سورة الأحقاف الآية/٢٧) وقال : ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (سورة القلم الآيات/١٠ – ١٥) وقال : ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (سورة المطففين الآيتان/١٢ – ١٣) .

يتجلى من هذه الآيات أن أساطير الأولين ليست عبارة عن مؤلف ديني ، اقتبس منه القرآن ، بل كان الكفار يعنون بها في موضع أنه ليس في القرآن سوى القصص والحكايات ، وفي موضع آخر يريدون أنه لا وجود ليوم القيامة والمعاد والبعث بعد الموت ، وهي أحاديث خرافة يؤمن بها الناس ، وهذا من سوء الحظ أن هذا المعتقد الفاسد الذي كان في زمن ما للكفار ، صار للمسلمين المتفرنجين ، فلا يؤمنون بيوم القيامة ويكفرون عظمة الله وكبرياءه ، وهم غافلون عن مؤاخذة الأعمال ، أيها الغافلون ! أم حسبتم أنكم لا تموتون ، نعم ، إنكم تموتون ، ثم تحيون ولا تموتون ، قال الله عز وجل : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ * وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنعام الآيتان/٣١ – ٣٢) (مقالات سليمان ج/٣ ص/٢٠٧ – ٢١٦) .

الخليفة :

وردت قصة خلافة آدم في القرآن الكريم على النحو التالي : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة الآية/٣٠) وهذا الخليفة كان سيدنا آدم عليه السلام ، الذي تشرف بالخلافة نيابة عن بنيه ، فقد كرم الله عز وجل أولاده كلهم بهذه الميزة ، واستعملت صيغة الجمع بالنظر إليهم يقول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة بني إسرائيل الآية/٧٠) ويقول : ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٣٨) .

وقال : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ

مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٠ – ١١) .

يتبين من هذه الآيات أن ما أنعم الله به على آدم عليه السلام من عز وشرف وكرامة ورثه بنوه بعده وخلفوه ، وإن خلافة الأرض التي أكرم بها آدم عليه السلام نالها جميع أبنائه بواسطته ، وقال الله عز وجل في آخر سورة الأنعام : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٦٦) .

ولكن من ذا الذي ينوب عنه بنو آدم ويخلفون عنه ، وقد وردت كلمة الخلافة في القرآن في أمكنة مختلفة كما جعلت قوم عاد خليفة لقوم نوح ، يقول الله : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (سورة الأعراف الآية/٦٩) .

ثم جعلت ثمود خليفة لعاد ، قال الله – وجل ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ (سورة الأعراف الآية/٧٤) ويحذر هود عليه السلام قوم عاد من أنهم إن لم يطيعوا الله فيستبدلهم بقوم آخرين .

ويقول : ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ (سورة هود الآية/٥٧) .

ويقول : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (سورة النور الآية/٥٥) .

ويقول بلسان محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٣٧) .

وقد ذكر القرآن في أربع آيات تعيين أمة خليفة لأمة أخرى .

وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (سورة النور الآية/٥٥) .

وقال : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة يونس الآيتان/١٣ – ١٤) .

وقال : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ (سورة يونس الآية/٧٢) .

ويقول : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ (سورة فاطر الآية/٣٩) .

وأكرم سيدنا داؤد عليه السلام بالخلافة ، قال الله عز وجل : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (سورة ص الآية/٢٦) .

واشتقت كلمة الخليفة من "خلف" ، ومعناه النيابة عن أحد مطلقاً ، يقول الله : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ (سورة ص الآية/٢٦) .

ويقول موسى عليه السلام لأخيه هارون وهو ذاهب إلى الطور : ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾

(سورة الأعراف الآية/١٤٢) .

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٦٠) .

ويقول الإمام راغب الأصفهاني في معجم مفردات القرآن : "الخلافة النيابة عن الغير ، إما لغيبة المنوب عنه ، وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف" (ص/٥٥ ، ط مصر) .

هذه ثلاثة معان ، وساق في صددها عدة آيات ، ورجح الثالث منها لأن هذا المعنى الثالث هو الذي يليق بخلافة الله ، وقد نقل المفتي الآلوسي مؤلف التفسير الشهير "روح المعاني" هذه المعاني الثلاثة عند كل آية وردت فيها كلمة الخلافة ومشتقاتها ، ولم يأت بقول فصل ، ويخطر ببالي في بعض الأحيان أن المتكلم إذا نص على أن أحداً يخلف فلاناً فيتعين هناك أنه سيكون خليفة لذلك الشخص الفلاني ، وإذا لم تأت منه صراحة تقرر أن المراد هو خلافة المتكلم والنيابة عنه ، وفي ضوء هذا المبدء العام الشامل نحاول أن نفهم الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة ، يقول الله عز وجل :

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (سورة الحديد الآية/٧) .

لم تنص هذه الآية على المستخلَف (بكسر اللام) ، ومن هنالك اختلف المفسرون ، فذهب بعضهم إلى أن الناس أنفسهم يخلف بعضهم بعضاً في الأموال كما يخلف الابن أباه في ماله ، وذهب بعضهم إلى أن المال هو ملك الله ، فمن فوضه إليه فقد استخلفه فيه ، ولكن المبدأ الذي قدمت يرجح هذا المعنى الأخير ، وقد جاء هذا المعنى في الكشاف والبيضاوي وروح المعاني كذلك ، كما في الكشاف : "إن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها ، وإنما مولكم إياها وخولكم للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها .

وجاء في البيضاوي : "من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها" وجاء في روح المعاني : "جعلكم سبحانه خلفاء عنه عز وجل في التصرف فيه ، من غير أن تملكوه حقيقة .

يتمخض من ذلك كله أن ملك الأموال رجع إلى الله تعالى كما ذهب إليه المفسرون ، وأن بني آدم خلفاؤه فيها" .

ثم نرجع إلى الآية التي هي موضوعنا : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة الآية/٣٠) .

وأخرج الطبري عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود .

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ مني في الحكم بين خلقي .

وأوضح معنى تفسير ابن زيد قبل ذلك بقوله : "إن الله تعالى أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة لا يحكم فيها بين خلقه إلا بحكمه" (ص/١٠٤ ، ط مصر) .

ويقول القاضي البيضاوي : "والمراد به آدم عليه السلام لأنه كان خليفة الله تعالى في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره

فيهم ، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول قبضه وتلقي أمره بغيره بغير وسط" (تفسير البيضاوي ص/٥٩) .

ومما قدمنا من الآيات يتبين أن الخلافة شملت بني آدم كلهم عن طريق أنبيائهم .

والتفسير الذي قدمناه تدعمه وتؤيده الدلائل التالية .

(١) إن المفسرين بأسرهم قد ذكروا هذا المعنى .

(٢) تشير الآيات والأحاديث إلى أن الله عز وجل لم يزل يخلق خلقاً بعد خلق .

فلم يكن خلق آدم بدعاً من الأمر ، ولكن امتاز عن غيره من الخلق بخلافته وسجدة الملائكة له ودخوله الجنة ، ثم عصيانه لله تعالى ثم الأمر بهبوطه منها إلى الدنيا وإلباسه خلعة النبوة .

الأمر الذي يشير إلى أهمية وخطورة هذا الخلق ، وأنه ليس خليفة عمن سبقه من الخلق ، وإنما هو خليفة لمن خلقه وأكرمه بهذه النعم .

(٣) المبدأ الذي تقدم من أن المتكلم إذا نص على المستخلف (بكسر اللام) تعين هو ، وأما إذا لم ينص عليه فلا بد أن يعتبر المتكلم نفسه مستخلفاً (بكسر اللام) .

(٤) الآيات التي تنص على شرف آدم وبنيه ، يقول : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة بني إسرائيل الآية/٨٠) .

وقال : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين الآية/٤) .

وقال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الجاثية الآية/١٣) .

وقال : ﴿وَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (سورة البقرة الآية/٢٩) .

وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ (سورة النحل الآية/١٤) .

وقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ (سورة الجاثية الآية/١٢) .

وقال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٣٢) .

وقال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٣٢) .

وقال : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (سورة الأحزاب الآية/٧٢) .

تبين من هذه الآيات أن الإنسان هو حامل الأمانة والخلافة من بين سائر المخلوقات .

إن نظرية الدولة والحكومة في الإسلام قائمة على فكرة تصل بالبشرية إلى الذورة العليا التي تجمع بين المادة والروح والسياسة والأخلاق والدنيا والدين .

فلا بد أن يخضع سيد الخلق أمام ربه ويعبده ، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات الآية/٥٦) (سيرة النبي ج/٧ ص/٧٦ – ٧٨) .

***

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢ - ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السابع والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)